الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

2016-2015

الملحقة الجامعية بمغنية

قسم اللغة والأدب العربي

مذكّرة لنيل شهادة الماستر

التخصص:

دراســـــات لغويـــــة

فَنُّ الخَطَابَةِ عِنْدَ الإِبْرَاهِيمِي

إعـــــداد:

- الطالبة: إيمان تيارتي

المشرف المقـــــرّر:

- د. أحمد دوّاح

اللجنة المناقشة:

1. د. بن عدّي نوريـــة رئيسًـــا
2. د. وهيـــب وهيبـــة مناقشًـــا

مقدمة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد للّه وليِّ كلِّ نعمة ،يمنُّ بالتوفيق ثمّ يثيب عليه ،ويُلهم الحمد ثمّ يَجزي به .والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمد المبعوث رحمةً للعالمين .

لقد استدعى انتباهي أثناء قراءتي للأدب الجزائري جهد فكريّ ،إبداعيّ ،فنيّ ،يشكل مساحة معتبرة في أدبنا القوميّ ،وله خصوصيّة ما يجعله أرضية خصبة للدّراسة والبحث ،لأنّه نشأ في ظلّ ظروف سياسيّة واجتماعيّة ،و اقتصادية لازمت بيئته ،مدة من الزمن ،وأثرت في النهوض به تأثيرا بالغا ،ومن هؤلاء الّذين استطاعوا أن يرفعوا هذا الأدب ويحلُّوه مكانة عالية محمد البشير الإبراهيمي الّذي نشأ في ذلك الظرف الاستعماري فتميّز في الفنون النثرية بشتى أشكالها فبرع في المقالة والخطابة .

لذلك ارتأيت أن يكون موضوع مذكرتي موسوما بعنوان "**فنُّ الخطابة عند البشير الإبراهيمي**" كذلك باعتباره واحدا من الّذين أُوتوا من البلاغة في اللفظ والدقة في البيان ما لا مثيل له في العبقرية العربيّة الجديدة ،إلّا أنّ عدم العناية بمثل هذا الأديب وإهمال مؤلفاته ،يُعدُّ إجحافا في حق العلماء الجزائريين.

ولعل المقتحم لدراسة شخصية من الشخصيات وفن من فنونها يبتدر إلى ذهنه مجموعة من الأسئلة منها:

ما هي ظروف نشأة البشير الإبراهيمي؟ وكيف نشأ فن الخطابة ؟ وما هي أهمّ أنواع الخطبة التي تميّز فيها الإبراهيمي؟وما خصائصها الفنية ؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة رسمت خطة بحث، مقسّمةً موضوع الدراسة والبحث إلى تمهيد ،وثلاثة فصول ،وخاتمة .فالفصل الأول والثاني خصّصتهما للجانب النظريّ ،أما الفصل الثالث فخصّصته للجانب التطبيقي.

فالتمهيد:حاولت فيه التقديم لموضوع البحث.

أما **الفصل الأول**:فخصصته للحديث عن العوامل المكوّنة لشخصيّة الإبراهيمي من حيث النشأةُ ،والرحلات الّتي قام بها ،والمنزلة العلمية الّتي حظي بها.

و**الفصل الثاني**:تناولت فيه الحديث عن مفهوم الخطابة وأنواعها وأشهر أنواع الخطبة التي عرف بها الإبراهيمي.

أما الفصل الثالث:فخصّصته لأهم خصائصه الفنية، محاولةً تحليل نموذج من خطبه.

وخاتمة كانت عبارة عن حصيلة للبحث ذكرت من خلالها أهم النتائج.

أما المنهج الذي اعتمدته في مختلف مراحل البحث المنهج التاريخي الوصفي التحليلي؛فالمنهج التاريخي اعتمدته لتتبُّع نشأة هذا الرجل.

والمنهج الوصفي لوصف هذا النوع من الفنون النثرية "الخطابة" وأبرز أنواعها.

أما المنهج التحليلي فتناولته في الفصل الثالث أثناء تحليل الخطبة.

ولأجل هذه الدراسة اعتمدت مجموعة من المصادر والمراجع أبرزها :كتاب "**الآثار لمحمد البشير الإبراهيمي**"،وكتاب "**البشير الإبراهيمي أديباً لمحمد عبّاس** "،وكتاب "**النّثر الفنّيّ عند البشير الإبراهيمي لعبد الملك بومنجل**".

وقد اعترضت سبيلي أثناء إنجاز هذا البحث صعوبات تمثّلت في مشقة التعامل مع المصادر والمراجع ،كيف لا وأنا بصدد دراسة شخصية ،وفن نثري أخذ وقت العديد من الدارسين ،وتحليل خطبة لشخصية أبدعتْ أيّما إبداع في كتاباتها .

و لا يعني هذا أنّني أوفيتُ هذه الدراسة حقها في العَرض والتحليل والتدليل فكلّ أعمالنا تبقى مجرد محاولات لإبراز بعض جوانب النّبوغ والعبقرية في أعمال هذه الشخصية.

وأخيرا فقد كنتُ أُحاول أن أنشد الكمال في بحثي هذا، لكنّ الكمال لله وحده،ولكل شيء إذا ما تمّ نقصانُ.

تمهيد

إنّ شخصيةً كالإبراهيمي متعدّدة المواهب والّتي تجاوز تأثيرها الحدود الوطنية إلى الآفاق العالمية و الإنسانية تحتاج إلى مجهود ينوءُ به كاهل الفرد الواحد من أجل دراستها ،لاستجلاء العبر واستخلاص الفوائد ،واستخراج عناصر القوة ،التي ساعدتها على التّرقّي في مدارج العلماء العاملين ومنازل الوطنيّين المخلصين ،فالإبراهيمي واحدٌ ممن اتصفوا بهذه الصفات[1]،فقد كان حارسا للأمّة في عقيدتها ،مدافعا عن دينها ولغتها ،مصلحا لما فسد من أفكارها و أخلاقها ،معبِّرا عمّا تُقاسيه من آلامها وما تطلّع إليه من أحلامها ،فكان بذلك اللسان الناطق باسمها، والقلم المسخر لوصف جراحها ،ورسم طريقها، و إذكاء جذوة عزمها.[2]

فالشيخ البشير الإبراهيمي هذا الرجل الذي كان أمّة ،كان جيلا ،كان عصرا.[3] عملاقا من عمالقة التفكير والعلم والأدب والجهاد الحقّ في سبيل الإسلام والعروبة والوطن الحرّ ،كرّس حياته لخدمة العلم فكان نعم الرجل ،مدرسا وخطيبا وإماما ،سعى بفكره إلى تأصيل مقومين رئيسين في الذات الجزائرية وهما الإسلام والعروبة ،جاعلا إياهما الأهداف التي ترتكز عليهما نهضة هذه الأمة.

فالتأمل كذلك لسيرته ونشاطه الفكري والأدبي يُبيّن لنا جهده ،إذ كان من الكتاب الّذين انحازت كتاباتهم في إضاءة عمق الشعب التاريخي والحضاري ،والكشف عن أحلامه المندثرة وخصاله المنسية ،وعما لا يعرف عن نفسه من خلال استثمار ثنائية الشكل والمضمون لإحياء الهامش المغيَّب في تراثنا وثقافتنا. فالأدب بأنواعه المختلفة بالنسبة لشيخنا هو مخلوق مقاوم بامتياز إذ كانت كتاباته وخطبه عنصرا ثقافيا أساسًا ومحرّكا جماهيريّا فعّالا نحو الحقيقة والخبرة ،فعلى اختلاف أصناف وأجناس القول التي كتب فيها كان نازعا إلى تلوينها بلون الموروث الإسلامي الواسع ،كما نستلهم ضمن نصوصه الأسلوب العربي المتين.[4]

فالإبراهيمي واحد من الأدباء الذين اهتموا بالأدب الجزائري بصفة خاصة ،ومن المبدعين في الفنون النثرية على اختلاف أنواعها .

---

[1] توفيق جمعات ، قبسات من شخصية الإمام محمد البشير الإبراهيمي ،مطبعة رويغي ،الجلفة ،الجزائر ،ط1 ،س ط 2010 ،ص29.

[2] عبد الملك بومنجل ،النثر الفني عند البشير الإبراهيمي ،بيت الحكمة ،الجزائر ،ط1 ،س ط جوان 2009.

[3] أحمد توفيق المدني ،مجلة الثقافة ،وزارة الثقافة والسياحة ،الجزائر ،السنة الخامسة عشرة ،العدد 87 ،س 1405هـ /1985م ،ص37.

[4] سهيلة بن عمر ،جمالية المقاومة _الرد بالكتابة _قراءة في كتابات البشير الإبراهيمي ،مجلة علوم اللغة العربية وآدابها ،كلية اللغات والآداب ،جامعة الوادي ،العدد الرابع ،مارس 2012 ،ص223.

لأن الأدب الجزائري كان يُعدُّ الآلة المصوّرة لحوادث الزمان ممثلا لحياة الشعب ،فكان زبدة مخاض أنبتتها عقول الكتاب والشعراء ،متشكّلة في جملة من الإبداعات الفنّيّة ،فكانت هذه الإبداعات من الظّواهر الثّقافية الهامة العاكسة لمضامين الحياة [1].

فمن أبرز هذه الإبداعات الفنية الخطابة التي يعتبرها البعض سلاح للعرب مند الجاهلية إلى العصر الحديث ولها دور فعّال في الحقل اللغويّ ،لأنّها ليست علما يستوعب ،وتحفظ قواعده ،ولكنها ممارسة الحديث على أرض الواقع ثم الإحاطة بقواعدها وأصولها وفروعها [2]،التي حاول العديد من الأدباء أن يُبدعوا فيها ومن أبرزهم البشير الإبراهيمي الذي حاول الإلمام بمختلف عناصرها إذ قيل أنّه كان يرتجل الساعة والساعتين فكن يخطب في الجانب السياسيّ والأدبيّ والدّينيّ.

فهو واحد ممن كانوا يؤمنون بفكرة لكل مقام مقال ،فخطبه تنوعت بتنوع المناسبات ،واختلفت من حيث الطولُ والقِصرُ ،والأسلوب والأداء المتميز الذي يجدب الأسماع .

وكانت الخطبة على مرّ الأزمان تُعد السّلاح الذي يعبِّر به الأدباء والكتاب عن الظروف التي يعيشونها ،وكذلك وسيلة للتوعية وبعث الأفكار في أفراد ذلك المجتمع .

[1] أمينة بلهاشمي ،الرمز في الأدب الجزائري الحديث ،رسالة ماجستير،جامعة تلمسان ،الجزائر ،س1432هـ /2010_2011م ،ص2.

[2] محمود محمد عمارة ،الخطابة بين النظرية والتطبيق ،مكتبة الإمام منصورة ،جامعة الأزهر ،ط1 ،س ط 1418هـ /1997م ،ص20.

الفصل الأول: العوامل المكونة لشخصية الإبراهيمي

أوّلا:نشأة الإبراهيمي وتكوينه

ثانيّا:رحلته إلى المشرق

ثالثانزلته العلميّة

أوّلا: نشأة الإبراهيمي وتكوينه

هو محمّد البشير بنُ محمد السّعدي بن عمر الإبراهيمي ،الرّجل الفذّ أحد أعلام الفكر واللّغة والأدب في العالم العربي وبالجزائر خاصة ،شريكا لابن باديس ونائبه في حياته ،وخليفته بعد وفاته ،ورفيق نضاله لتحرير عقل المسلم من الخرافات والبدع.

ولد بقبيلة ريغة قرية (أولاد إبراهيم) برأس الوادي قرب (سطيف) غربي مدينة (قسنطينة) مع بزوغ شمس يوم الخميس 13شوال 1306هـ /الموافق 14يونيو(جوان)1889م _وهي السنة نفسها التي وُلد فيها كل من الشيخ عبد الحميد بن باديس ،و الشّيخ الطيب العقبي ،و الأديب المفكر عباس محمود العقاد ،وغيرهم من العلماء و العباقرة الأفذاذ.[1]

نشأ الإبراهيمي في بيت كريم من أعرق بيوت الجزائر ،حيث يعود بأصوله إلى الأدارسة العلَويّين من أمراء المغرب في أزهى العصور موضحا ذلك في قوله :"إنّ قبيلتنا يرفع نسبها إلى إدريس بن عبد الله الجدّ الأول للأشراف الأدارسة ،وإدريس هذا هو الذي خلص إلى المغرب الأقصى بين العلويين والعباسيين وإليه تُنسب أنساب الأشراف ...وموطننا الذي تقلَّب فيه أجدادنا في التاريخ ضارب في القدم"[2].

ومما نلاحظه هاهنا أنّ الإبراهيمي كان كثير الاهتمام بأصول قبيلته وعائلته ،وأنّه كان شديد التّحمس و الاعتزاز بأصله العربي،على غرار عدد لا بأس به من الجزائريين أنداك ومما يدلّ على ذلك أنّ أجداده ينحدرون من نسب عربي أصيل .

و هو سليل أسرة حفظت رسم العلْم وتوارثته فخرج منها علماء في علوم العربيّة بهمّة واجتهاد ،حيث كان يوجد في أسلاف الشيخ عدة علماء كانوا من أعلام الفقه و الفُتيى أمثال الشيخ محمد العُمري الإبراهيمي ،و المبارك الإبراهيمي ،والشيخ القُرشي الإبراهيمي وغيرهم من عاشوا في القرون الثلاثة

[1] WWW.ALuka.com خالد النجار،محمد البشير الإبراهيمي ،شبكة الأكولة.

[2] محمد البشير الإبراهيمي ،أنا ،مجلة الثقافة ،وزارة الثقافة والسياحة ،الجزائر ،العدد87 ،السنة الخامسة عشرة ،شعبان /رمضان 1405هـ/مايو /يونيو1985م،ص12.11.

الأخيرة ،وقد هاجر من بيتهم مجموعة إلى الأزهر لاستكمال الدراسة والاستزادة من العلم [1].وكان من أثار هذا الاتصال بالقاهرة أنّهم أثناء عودتهم سمّوا أبنائهم بأسماء كبار المشايخ إذ يقول "...أنا أدركت في فروع بيتنا من تسمى بالأمير والصاوي و الخرسي والسنهوري"[2] .

إذ كان بيته مصدر إشعاع على القبيلة وعلى من حولها من الأقاليم إلى وقت الإبراهيمي.

هذا هو الجو الذي نشأ الإبراهيمي فيه ،حيث تلقى مبادئ العربيّة على يد والده وذلك بتعليمه في البيت أولا كعادة أيّ عالم ،ولما بلغ سّن الثالثة بدأ بالتعلّم وحفظ القرآن على التقليد المتّبع وذلك على يد جماعة من أقاربه من حفاظ القرآن الكريم مشرفا عليه إشرافا عاليّا عمّه الشّيخ "محمّد المكي الإبراهيمي" حامل لواء فنون العربيّة من نحوها ،وصرفها ،واشتقاقها ،ولغتها.

ولما بلغ سبع سنين استلمه عمّه وتولى تربيته بنفسه ،فيقول في هذا :"قد أخدني عمّي بالتربيّة و التّعليم مند أكملت السّن الثالثة وكنت ملازما له حتّى في النّوم والطّعام ،فكان لا يخليني دقيقة واحدة من الفائدة العلميّة وكانت له طريقة عجيبة في تنويع المواضيع حتّى لا أملّ"[3].

وهذا يوضّح أنّ تربية الإبراهيمي على يد عمّه كانت هادفة ومنهجيّة ومركّزة فلم يكن يعلّمه العلوم مجرّدة على شكل نظرات و معلومات و معارف ،بل كان يصاحبه ويعلّمه الآداب والانضباط ،كما أنّه لم يكن يكتفي بتعليمه في أوقات التعليم المحدّدة فحسب وإنّما كان يفعل ذلك وهو يتجوّل معه خلال وقت التّفسُّح إذ كان لهذا الأسلوب المركّز والمكثّف آثاره الباهرة ،وثماره اليانعة.

ما كان الإبراهيمي يبلغ من عمره تسع سنين حتّى أتمّ حفظ القرآن الكريم مع فهم مفرداته و غريبه إلى جانب حفظه العديد من الكتب مثل: ألفية ابن مالك ،و معظم الكافية له ،و ألفية ابن معطي الجزائري ،و ألفيتي الحافظ العراقي في السير والأثر و جمع الجوامع في الأصول...و غيرها. إلى جانب

---

[1] توفيق جمعات :قبسات من شخصية الإمام محمد البشير الإبراهيمي ،مطبعة روغي الأغواط ،ط1،س ط2010،ص30.29.

[2] محمد البشير الإبراهيمي ،أنا ،مجلة الثقافة ،وزارة الثقافة والسياحة ،الجزائر،ص12.

[3] آثار محمد البشير الإبراهيمي ،طالب الإبراهيمي ،دار الغرب الإسلامي ،ط1 ،س ط1997م ،ج5(1954.1964م) ،ص164

الأشعار و رسائل البلغاء ،أمثال رسائل سهل بن هارون ،وبديع الزمان [1]،وفي عنفوان هذه الفترة حفظ كتب أخرى التّي تأثر بها تأثيرا كبيرا إذ يقول :"إنّي في هذه الفترة كنت حفظتُ بإرشاد عمي كتاب الكفاية و المحتفظ للأجدابي الطرابلسي و كتاب الألفاظ الكتابية للهمذاني وكتاب الفصيح لثعلب,و كتاب إصلاح المنطق ليعقوب السّكّيت و هذه الكتب الأربعة هي الّتي كان لها عظيم الأثر في ملكتي اللّغويّة"[2].

وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أنّ الإبراهيمي كان يملك حافظة فذّة لا يندُّ عنها شيء، هي الّتي ضمنت معارف واسعة في علوم مختلفة متنوّعة وزوّدته برصيد غنيّ في اللّغة العربيّة يأخذ أصالته من الثراث العربي في عهد النّضج المزدهر [3].

إذ وصف هذه الحافظة بقوله :"وهبني اللّه حافظة خارقة وذاكرة عجيبة تشهدان بصدق ما يُحكى عن السلف و كانتا مُعينتين لي في تحصيل العلم في هذا السّنّ " و قال مرّة أخرى :"واختصصت بذاكرة وحافظة خارقتين للعادة".[4]

ولما بلغ الإبراهيمي سنّ الرّابعةَ عشرةَ حفظ ألفية العراقي في النثر و السير ،ونظم الدّول لابن الخطيب ومعظم رسائل فحول كتاب الأندلس ،و المشرق العربي ،وكتب اللّغة و الآداب.[5] و لقد ختم الإبراهيمي في هذا السن الفصول الأخيرة من ألفية ابن مالك على يد عمه الّذي كان على فراش الموت ،ثمّ أجازه _عمُّهُ المكي _ وهو الذي تولاّه بالرعاية التربوية والتعليميّة تدريس العلوم الّتي تلقاها عنه درسا لطلبته الّذين كانوا زملاءه في الدراسة ،إذ تُوفي عمُّه في تلك السنة وخلفه من بعد ذلك

[1] عبد الملك بومنجل ،النثر الفني عند البشير الإبراهيمي ،بيت الحكمة ،الجزائر ،ط1 ،س ط جوان 2009م،ص22.

[2] محمد البشير الإبراهيمي ،أنا ،مجلة الثقافة ،وزارة الثقافة والسياحة ،ص13.

[3] آثار البشير الإبراهيمي ،ص163

[4] محمد البشير الإبراهيمي ،أنا ،مجلة الثقافة ،ص14.

[5] أمينة بهاشمي ،الرمز في الأدب الجزائري الحديث ،مذكرة ماجستير

بعقد العزم على مواصلة الدرس ،و يشيد الحلقة العلمية في هذا السن[1]،والتزم والده بإطعامهم كالعادة في حياة عمه لأنهم كانوا يتوافدون حتى من القبائل المجاورة.

وما كان الإبراهيمي يكتفي بذلك ،ففي بعض السنين كان يخرج وينتقل إلى المدارس القبلية القريبة من بلدته ليدرس فيها حيث كثرة الطلبة وتوفر السكنى .إذ أكسبته هذه الفترة زيادة نبوغ وتفوّق في العلوم الشرعية ،وخبرة في التعليم ،ومعرفة بطبائع الناس.[2] واستمر على هذه الحال حتى بلغ العشرين من عمره إذ بدأت تراوده فكرة الذهاب إلى المشرق ،لأنّ الجزائر أصبحت لا تُلبّي طموحاته ،وذلك بسبب السياسة الاستعمارية فاتخذ في سنة (1911م) قرار الرحيل إلى المشرق و بالذات إلى المدينة المنورة التي كان قد سبقه والده بالرحيل إليها سنة(1908م).

ومن ثمَّ فإنّ تكوين الإبراهيمي لم يقفْ عند هذا الحدّ بل واصل ذلك في المشرق ،لأنّه ظل شغوفا بالعلم مقداما على طلبه ،متطلّعا إلى المزيد.[3]

ومن خلال هذا كله يتّضح لنا أنّ الإبراهيمي رغم أنّه وُلد في ذلك الظرف الاستعماري المظلم الرهيب ،حيث محاولات التجهيل ،والتغريب ،ومعاول الهدم والتخريب للشخصية الجزائريّة ،إضافة إلى وجوده في قبيلة من قبائل الجزائر يتّضح أنّ أسرته عرفت كيف تستغلّها لصالحه ،لتبنيّ شخصيته وثقافته على منهج قويم.

[1] محمد عباس ،البشير الإبراهيمي أديبا ،كلية الآداب ،جامعة بغداد ،س15نوفمبر1983م ،ص33

[2] عبد الملك بومنجل ،النثر الفني عند الإبراهيمي ،ص23

[3] المرجع نفسه ،ص23

ثانيا: رحلته إلى المشرق

عزم الإبراهيمي على زيارة المشرق في وقت كانت فيه النهضة الفكرية والأدبية التي تزعمها كلّ من الشيخين جمال الدين الأفغاني ،ومحمّد عبده قد أينعت ثماره، فخرج من الوطن متخفّيا مثلما خرج والده سنة 1908م ،[1]فاختار المدينة المنورة مقصدا له ،وفي رحلته هذه اختار الحجاز بتونس وليبيا و القاهرة طريقا له فاستقر بها ثلاثة أشهر حشد فيها دائرة معارفه ،ورأى فيها آفاق كانت أمله الكبير ،فتركت في نفسه آثارا حيّة بدأها بحضوره دروس العلم في الأزهر ،وبمعرفة أعلامه أمثال الشيخ "سليم البشري" ،و الشيخ "محمد بخيت" الذي حضر درسه في البخاري ،والرواق العباسي ،والشيخ "يوسف الدَّجوي" ،وسعيد الموجي الذي كان له سندا عاليا في رواية الموطَّأ وغيرهم من كانت دروسهم تدور حول أصول الحديث ،واللّغة ،والدرس البلاغي ،وفنون في التشريعات الفقهية .[2]فتعرف على أشهر علمائها ،والتقى مع طائفة من الأدباء على رأسهم الشاعران الكبيران أحمد شوقي الذي قال عنه: "وأسمعتُهُ عدة قصائد من شعره من حفظي فتهلّل رحمه الله واهتزّ "[3]

وكذلك حافظ إبراهيم فقال عنه :"اجتمعتُ بشاعر النيل حافظ إبراهيم في بعض أندية القاهرة و أسمعتُه من حفظي شيئا من شعره كذلك ".[4]

[1] عند الملك بومنجل ،النثر الفني عند البشير الإبراهيمي،بيت الحكمة ،الجزائر ،ط1 ،س ط جوان 2009م ،ص33.

[2] محمد عباس ،البشير الإبراهيمي أديبا ،ص33.

[3] محمد البشير الإبراهيمي ،أنا ،مجلة الثقافة ،وزارة الثقافة والسياحة ،ص15.

[4] المرجع نفسه ،ص15.

وظل الإبراهيمي على هذه الحال ينتقل بين المجالس العلمية والأدبيّة للاستفادة من العلماء ،و الأدباء حتّى شهد له بعضهم بالنبوغ ،ثم واصل طريقه إلى المدينة المنورة فركب البحر من بور سعيد بحيفا ثم ركب الحافلة إذ وصل إليها أواخر سنة 1911م ،فاجتمع بوالده وطاف بالحرم النّبوي مختبرا باحثا عمّا يريده فلم يجد ما يشفي غليله كما قال :" فلم يرقْ لي شيءٌ منها وإنّما هي غثاءٌ يُلقيه رهطٌ ليس له من العلم والتّحقيق شيءٌ "[1]

ولا يستثني الإبراهيمي من هذا الغثاء إلاّ ما وجده عند الشيخين الوزير التونسي ،وحسين أحمد الفيض ،ومن ثمَّ، فإنّنا نجد الإبراهيمي كان غير متهافت على أيّ شيخ، بل كان دقيقا في اختياره أعلم المشايخ وأبعدهم صيتا في علم التدريس، حتّى ولو كانت فترة التعلّم قصيرة ،كتلك الّتي قضاها بمصر أثناء رحلته إلى الحجاز ،وهذان الرّجلان اللّذان اختارهما كان أعلم رجلين بالمدينة، إذ لازمهما الملازمة التّامة دامت قرابة خمس سنوات[2]،وتعد هذه الصفة من بين أبرز الصفات التي تركها فيه عمه خلال مراحل تعليمه

كما نجد الإبراهيمي يُشيد بهذين الرّجلين اللذين كان لهما عظيمُ الأثر في تكوينه وذلك من خلال قوله هذا :"و الحق يقال عالمان محققان واسعا أفق الإدراك في علوم الحديث ،وفقه السّنة ..فلم أرى مثل الشيخين في فصاحة التعبير ،ودقّة الملاحظة ،و الغوص عن المعاني ،والتوضيح للغوامض ،والتقريب للمعاني القصية".

ثمّ يعود فيقول :"وكنت أعتقد تلك الصورة الذهنية لم تتحقّق في الوجود الخارجي مند أزمان ولكنّني وجدتها محقّقة في هذين العالمين الجليلين"[3] .

---

[1] محمد البشير الإبراهيمي ،أنا ،ص15.

[2] توفيق جمعات ،قبسات من شخصية الإمام محمد البشير الإبراهيمي ،مطبعة روغي ،الأغواط ،ط1 ،س ط2010 ،ص40.

[3] محمد البشير الإبراهيمي ،أنا ،مجلة الثقافة ،وزارة الثقافة والسياحة ،ص15

فأخذ عنهما العلوم التي كان راغبا في الاستزادة منها ،من علم الحديث رواية ودراية ،وعلم التفسير ،فأخذ عن الوزير التّونسي الموطّأ إلى جانب ملازمته درسه في فقه مالك ،والتوضيح لابن هاشم ، أما الشيخ محمد فيض الأبادي فقد أخد عنه صحيح مسلم ،فقد لازمهما كما يقول ملازمة الظلّ.

وبقي الإبراهيمي على هذه الحال ينتخب لنفسه كبار العلماء و يأخذ عنهم ما يحتاجه من العلوم التي كان يرغب الاستزادة منها كالحديث ،والتفسير ومن بين هؤلاء العلماء الشيخ "أحمد البرزنجي الشهرزوري" الذي أخذ عنه الجرح والتعديل ،وعلم الرجال ،وحضر بعض دروسه في شرح البخاري ،والشيخ إبراهيم الأسكوبي الذي أخذ عنه علم التفسير إذ وصفه بأنّه كان ممن يشار إليهم في هذا العلم ،أما الشيخ عبد الباقي الأفغاني فقد عمق معه في علم المنطق و الحكمة المشرقية ،وأخذ عن عبد الله بن زيدان الشنقيطي الأدب الجاهلي وأنساب العرب والسيرة النبوية و الآداب فذاكر في اللّغة و الشعر الجاهلي مع أحد زملائه ودرس أمهات الكتب المشهورة خصوصا الكامل للمبرد ،والبيان والتبيين للجاحظ ،و الأغاني للأصفهاني.[1]

ويذكر الإبراهيمي في أحد أقواله الذي جاء كالتالي :"وبالجملة فقد كانت إقامتي بالمدينة المنورة أيام خير وبركة عليّ فكنت أنفق أوقاتي في إلقاء دروس في العلوم التي لا أحتاج فيها إلى مزيد كالنحو والصرف و العقائد و الأدب." [2]

ونستشفُّ من هذا القول أنّ الإبراهيمي كان يقومُ بكل هذا دون انقطاع عن إلقاء الدروس في الأوقات التي كان يرى أنّه لا يحتاج إلى المزيد في علم من العلوم، التي كان يتلقاها، فكان يتلقّى ويلقّن محاضرات ودروسا يحضرها النّاس ،وكان أثناء ذلك لا يفتأ أن يناظر بعض العلماء الحجازيّين أو ممّن يقطنون بالأمم المجاورة ويناقش آراءهم وكانت السّيرة النبوية هي مادته التي كان يلقيها هناك. [3]

[1] عبد الملك بومنجل ،النثر الفني عند البشير الإبراهيمي ،ص24.

[2] محمد البشير الإبراهيمي ،أنا ،مجلة الثقافة ،ص16.

[3] محمد عباس ،البشير الإبراهيمي أديبا ،ص3534.

فعلى الرُّغم مما أخده الإبراهيمي عن هؤلاء إلاّ أنّه لم يكتفِ لا بمحاضراتهم ولا بدروسهم ومناظراتهم له، بل كان يرتاد الأندية الثقافية والمكتبات العلمية ،وهذه المكتبات نجده يذكرها في قوله كالتالي :"وكنت أتردّد على المكتبات الجامعة ...كمكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت،حتى استوعبتُ معظم كتبها النادرة قراءةً ،وفي مكتبة السلطان محمود ،ومكتبة شيخنا الوزير ،وفي مكتبة بشير أغا أو في مكتبات الأفراد الغاصة بالمحفوظات مثل مكتبة آل الصافي ،ورباط سيدنا عثمان ،و آل المدني وآل هاشم "[1]

ومما تميّز به الشيخ كذلك في هذه المرحلة استعارته لكثير من المحفوظات الغريبة من أساتذته وتلامذته الشّناقطة ومن بينها ديوان غيلان ذي الرُّمة التي حفظ معظمها أثناء تلك المرحلة.

و لاشكّ أنّ هذه المكتبات العديدة العامرة بالمؤلفات والمخطوطات قد أشبعت تعطُّش الإبراهيمي للمطالعة وزيادة التّبحّر في مختلف العلوم والمعارف، فضلا عن احتكاكه برُوَّادها من العلماء والطلبة وهذا ما كان يفتقد إليه بالجزائر ورحل من أجله.

وبقيام الثورة العربية بقيادة الشريف حسين سنة 1917م قامت سلطات الحكومة العثمانية بترحيل سكان المدينة كلهم إلى دمشق، فكان هو ووالده من أوائل المطيعين لأمر الحكومة [2].فكانت بغيته الأولى والأخيرة اتصاله بمجالس العلم وتعرفه على كبار علمائها ،فالتقى بشخصياتها فرحبوا به.وهؤلاء الذين يعتبرون من ذوي الشهرة العالمية التي تجاوزت حدود إقليمهم، أمثال عالم دمشق: جمال الدين القاسمي ،والأستاذ عبد الحكيم الطرابلسي ،والأستاذين قاسم ورضا القاسميين ،وخاصة الشيخ محمد بهجت البيطار فقد بقي الإبراهيمي يحتكُّ بهؤلاء الأعلام طوال إقامته هناك.[3]

وما إن مرّ شهر عن مكوثه بدمشق حتى سطع نجمه،وانهالت عليه الرغبات للتّعليم بالمدارس الأهلية فاستجاب لبعضها فبدأ بإلقاء دروس في الوعظ والإرشاد بالمسجد الأموي، وكان اعتماده في إلقاء

3محمد البشير الإبراهيمي ،أنا ،مجلة الثقافة ،وزارة الثقافة والسياحة ،ص17.

[2] عبد الملك بومنجل ،النثر الفني عند البشير الإبراهيمي ،بيت الحكمة ،الجزائر ،ط1 ،س 2009م،ص25.

[3] محمد عباس ، البشير الابراهيمي أديبا ،ص37

دروسه على الإملاء، وهذا بسبب تميُّزه بحافظة قوية ،إذ نستخلص هذا من خلال قوله :"وألقيتُ دروسا (تحت قبة النّصرة الشهيرة) على طريقة الأمالي، فكنتُ أجعل عماد الدرس حديثا أُمليه من حفظي بالإسناد إلى أُصوله القديمة ،ثم أُملي تفسيره بما يوافق روح العصر وأحداثه ،فسمع النّاس شيئا لم يألفوه ولم يسمعوه إلاّ في دروس الشيخ بدر الدين الحسيني"[1] كما أننا نخلص إلى أنه كان يعود إلى الأصول القديمة أثناء تحليله للنصوص لكن بما يناسب ما هو سائد في ذلك الوقت.

استمرّ الإبراهيمي على هذه الحال إلى غاية خروج الأتراك من سوريا، وقيام دولة الاستقلال العربي ،فاتصل به واليه المستبد جمال باشا السفاح فأراد أن يكون في خدمته، يخدم سياسته بلسانه وقلمه ،لكن استطاع الإبراهيمي التّخلّص منه بحيلة لطيفة ،لكنه استجاب لأمره بأن يكون أستاذ اللّغة العربيّة في المدرسة السلطانية ،ولم يمضِ على تدريسه فيها إلّا القليل،حتى ذهب السّفّاح والدولة العثمانية ،وصار التعليم في تلك المدرسة كله عربيّا ،وأصبح الإبراهيمي أستاذا للآداب العربيّة ،وتاريخها وتطوّرها ،وفلسفتها في ذلك المكتب أو المدرسة التي كانت أشبه بالمعهد، مشاركا للأستاذ اللّغوي الشيخ عبد القادر المبارك ،فتخرج من هذه الثانوية الوحيدة أنداك أساتذة منهم الدكتور جميل صليبا ،والدكتور أديب الروماني ،والمحايري ،وعدنان الأتاسي ،فاستمر الإبراهيمي في إلقاء دروسه و خطبه بالجامع الأمويّ وعقد الندوات العلمية والمجالس الأدبية [2] فقد مكث بهذا المعهد مدرسا طوال أربع سنوات ،ظلّ خلالها الأستاذ النّاجح ،والمربّي المرموق إذ استطاع أن يُحبِّب الأدب العربي القديم إلى قلوب الطّلّاب بدمشق وذلك باعتراف أحد أبرز تلامذته في تلك المدرسة يومئذ وهو الدكتور جميل صليبا قائلا :إذا علمنا بأنه تَبَوَّأَ كرسي الأستاذية في هذه المدرسة العليا و سنه لا تجاوز السادسة والعشرين، علمنا بمدى عمق الثقافة التي كان قد اكتسبها وهو لا يبرح في معية الشباب

[1] محمد البشير الإبراهيمي ،مجلة الثقافة ،وزارة الثقافة والسياحة ، ص17.

[2] عبد الله الطنطاوي ،المجاهد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ،ت 24تموز 2007م ،11:24 ،مقالة أدبيةTantawi3@gmail.com

،ولعل ذلك يعود إلى ذاكرته التي كانت لا تكاد تعلق شيئا إلا وعقدت عليه ،ولا يكاد شيئا يمرُّ بها إلاّ وسجّلته تسجيلا ..[1]

فهو لم يتوقف عند هذا الحدّ بل انضمّ إلي العديد من الأندية والجمعيات السورية التي كانت تسعى إلى توحيد صفوف العرب ،ومنها بصورة خاصة النادي العربي الذي أسسه الدكتور عبد الرحمن شهبندر أحد قادة الرأي وزعماء الثورة العربية في النصف الأول من القرن 20م ،كما أيّد الثورة العربية والأمير فيصل الذي دخل دمشق سنة 1918م بعد طرد الأتراك نهائيا من المنطقة، وبعد مرور مدّة طلب منه الملك فيصل الأول العودة إلى الحجاز ليتولّى إدارة المعارف فيها، لكنه رفض رغم إلحاح هذا الأخير عليه، وذلك لعدم رضاه على سياسة أبيه الشريف حسين .فاستمر به المقام إلى غاية سنة 1920م مقدما المساعدات للدول العربية الناشئة من خلال مساهمته في تعريب الإدارة وتكوين الإطارات الحكومية ،وإلقاء المحاضرات على طلبة التعليم العالي بالنادي العربي[2].

فكان للإبراهيمي دور في بناء صرح النهضة بسوريا ، إذ قال هو يومها :"فأشهد صادقاً أنها هي الواحة الخضراء في حياتي المجدبة، وأنها هي الجزء العامر في عمري الغامر، وأنني كنت فيها أقرّ عيناً، وأسعد حالاً". كما أنّ يوم مغادرته لها كان يوما مشهودا سفح فيها أصدقاؤه ومحبُّوه وتلامذته الدموع، فقال في ذلك اليوم :"ويا يومَ الوداع ما أقساك ،وإن كنتُ لا أنساك ،لا أنسى بعد ثلاثين سنة ولن أنسى ما حييتُ موقف البرامكة ،والأستاذ حسين الخضر يكفكف العبرات وتلامذتي الأوفياء يقدمون إلي بخطوطهم كلمات في ورقات ،مازلت محتفظا بها احتفاظ الشحيح بماله.." [3]

إذ يحاول الإبراهيمي في أقواله هذه مدى حبّه لدمشق وتعلقه بها، إضافة إلى ذلك محاولا وصف اليوم الذي غادرها فيه ومدى أثرها الخالد في نفسيته و الذي سيبقى مدى حياته.

---

[1] عبد المالك مرتاض ،محمد البشير الإبراهيمي ،الموسوعة التاريخية للشباب ،وزارة الثقافة والسياحة ،الجزائر ،د ط ،دس ،ص14.

[3] بشير فايد ،قضايا العرب والمسلمين في آثار الشيخ الإبراهيمي والأمير شكيب أرسلان ،دراسة تاريخية وفكرية مقارنة ج1 رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر،جامعة قسنطينة ،س20102009م ،ص

[3] عبد الله الطنطاوي ،المجاهد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ،ت 24تموز 2007م ،11:24 ،مقالة أدبيةTantawi3@gmail.com

كم أنّنا نجد تلامذته يشيدون به وبخصاله، ومن بينهم الدكتور جميل صليبا قائلا في إحدى مقالاته :"ولعلّنا لم نحب هذه اللّغة إلاّ بتأثير حبّنا للشّيخ أوّلا ،فقد أحببناهُ حبّا عميقا ،وانتقل هذا الحبُّ منه إلى مادّته ،ولا غرو فقد كان . رحمه الله . من أعظم النّاس في أعيننا ،وكان الذي حببه إلى نفوسنا تواضعه ،ولطفه ،ووقاره ،وشجاعته ،وعفَّته ،وشعوره بكرامته ،وحرصه على القيام بواجباته ،وتعلّقه بالقيم الإنسانية المثالية "[1]

فكانت هذه رحلة الإبراهيمي الأولى إلى المشرق التي دامت تسع سنوات ،وكانت لأجل الاستزادة من مختلف العلوم المعرفية والتعرف على كبار المشايخ و العلماء.

وبهذا يكون قد أنهى هذه المرحلة – مرحلة التعلم و الأخذ – ليبدأ في مرحلة جديدة للعطاء وذلك بعودته إلى بلده التي كانت لأجل حمل رسالة ثقيلة لا يقدر على حملها إلّا رجل عالم ومفكّر متبصِّر ،وأديب مقتدر ،وهي رسالة إحياء الدين والعربية في شباب الجزائر ،قمع الضلال و الابتداع في شعبها ودحر الاستعمار الفرنسي من بلادها ،وعلى محكّ هذه الرسالة نمت واستكملت بناء شخصية الإبراهيمي ،واختمرتْ في ذهنه فكرة الإصلاح التي كانت قد انتشرت في المشرق مند نهاية القرن 19كذلك فكرة تأسيس الجمعية، وكانت موضوع اجتماعاته مع رفيقه في الجهاد الشيخ عبد الحميد بن باديس ،وكذلك الشيخ الطيب العقبي ، ومسامراتهما الليلية في المدينة المنورة على امتداد ثلاثة أشهر من سنة1913م [2].

وهذه الفكرة نبتتْ بالمدينة ،حين التقى الشيخان ،وكان يسمران معاً ليالي طوالا يستعرضان فيها أدواء الجزائر الاجتماعية والسياسية ،ويحاولان أن يطبا لها ،واستقر رأيهما على أن الأمر يستلزم نهضة شاملة ،وإصلاحا يقوم على أساس من العلم واللغة والدين .فقد سبق ابن باديس أخاه إلى الجزائر

[1] جميل صليبا ،من مذكرات الدكتور جميل صليبا عن الإبراهيمي ،مجلة الثقافة ،وزارة الثقافة والسياحة ،ص55

[2] عبد الملك بومنجل ،النثر الفني عند البشير الإبراهيمي ،بيت الحكمة ،الجزائر ،ط1 ،س ط جوان 2009م ،ص28.

واستقرّ بقسنطينة متخذا أحد مساجدها حلقة لدرسه ،وأقبل عليه الطلاّب من كلّ جهة فوضع حجر الأساس لبناء نهضة عربية .[1]

إذ يقول الإبراهيمي في هذا الصّدد وصفا هذه المسامرات الليلية :"كانت هذه الأسمار المتواصلة كلها تدابير للوسائل التي تنهض بها الجزائر ،ووضع البرامج المفصلة لتلك النهضات الشاملة التي كانت كلها صورا ذهنية تتراءى في مخيلتنا ،وصحبها من حسن النية وتوفيق الله ما حققها في الإخرج بعد بضع أشهر ،وأشهد الله على أنّ تلك اللّيلة هي التي وضعت فيها الأسس الأولى للجمعية".[2]

وبعد مرور سبع سنين من عودة رفيقه، يعود الإبراهيمي وبعودته هذه تبدأ الفترة الثانية من حياته ،فالتقى بصديقه ورفيق نضاله الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي سبقه إلى بعث التعليم في الجزائر ، حيث بدأت طلائع تعليمه تلوح في الميدان، متمثّلة في سراب الشباب الناهض ،فأعجب بالنتائج المثمرة التي حققها ،وبما قام به رفيقه. [3]

فلقد أشاد كثيرا بهذا العمل الجليل الذي قام به هذا الرجل بقوله :" ولمست بيدي آثار الإخلاص في أعمال هذا الرجل ،ورأيت شبانا ممن تخرجوا على يد هذا الرجل وقد أصبحوا ينظمون الشعر العربي بلغة فصيحة وتركيب عربي حرّ ،ومعانٍ بليغة وموضوعات منتَزَعة من صميم حياة هذه الأمة ،وأوصاف رائعة في المجتمع الجزائري،وتشريح لأدوائه ،ورأيت جماعة أخرى من أولئك التلامذة قد أصبحوا يحبرون المقالات البديعية في الصحف فلا يقتصرون على أمثالهم من إخوانهم في الشرق ،وآخرون يعتلون المنابر فيحاضرون في الموضوعات الدينية والاجتماعية ،فيرتجلون القول المؤثر،والوصف الجامع ،ويصفون الدواء الشافي بالقول البليغ"[4]. فمن خلال هذا يتبيَّن أن الشيخ عبد الحميد بن باديس قد قطع شوطا كبيرا إذ استطاع أن يبدأ بتخريج جيل من الشباب ناضج وواع،ولهذا قرّر

[1] محمد البشير الإبراهيمي ،أنا ،مجلة الثقافة ، وزارة الثقافة والسياحة ،ص52/51

[2] المرجع نفسه ،ص19/18

[3] الطاهر يحياوي ،العلاّمة البشير الإبراهيميّ أمير البلاغة والبيان ،الجزائر ،د ط ،دس ،ص7

[4] الشيخ البشير الإبراهيمي ،أنا ،مجلة الثقافة ،وزارة الثقافة والسياحة ،ص20

الإبراهيمي أن يكون العضد الأيمن لابن باديس يبتغي معه هدفا واحدا هو النهوض الحضاري بالمجتمع الجزائري، فغدا في بداية الأمر يلقي المحاضرات ،ودروس الوعظ والإرشاد في المدن العامرة و القرى الآهلة، منتقّلا من بلد إلى بلد ،ولما بلغت صيحاته وتسلّلت إلى القلوب قام بإنشاء مدرسة صغيرة بمدينة سطيف يمرن فيها الشباب على الخطابة و الكتابة وقيادة الجماهير بعد تزويدهم بالغداء الضروري من العلم.[1]

ويواصل الإبراهيمي على هذه الحال وبذهنه فكرة، ألا وهي استحالة بقاء الاستعمار في أمة مسلمة، معتمدا في ذلك على المنهج الإسلامي ،وفي هذه الفترة أي مابين (1920م . 1930) ظلت الاتصالات واللقاءات بينهما فكانت سنوات كلها إعداد وتهيئة للحدث الأعظم وهو إخراج جمعية العلماء المسلمين حيث أصبح لديه نحو ألف تلميذ بعثوا فيها الخصال التي اتّفقوا حولها هو ورفيقه وهو تربية نشأ على فكرة صحيحة،ولو مع علم قليل فيقول :"وأصبح لدينا جيش من التلامذة يحمل فكرتَنا وعقيدتَنا مسلح بالخطباء و الكتاب و الشعراء يلتف به المئات من حملة العقيدة يجمعهم إيمان واحد ،وفكرة واحدة وغضب حاد على الاستعمار "[2]

وبهذا نستطيع أن نقول إن الإبراهيمي تمكن من تحقيق جزء كبير من خطته وبذلك استطاع هو ورفيقه سنة1931م تأسيس الجمعية ،إذ عدَّ تأسيسها كردٍّ فعلٍ إيجابيٍّ على احتفال فرنسا بمرور قرن على احتلال الجزائر ،وتيقنتُ أن هذا البلد قد أصبح جزءا منها ،فعين ابن باديس رائدا لها ،والإبراهيمي نائبا له فقام بوضع دستورا للجمعية وقانونها الأساسي [3]وبذلك انطلقت الجمعية في عملها المبارك محاربة الاستعمار وهي تهدف – فيما يرى البشير – إلى محاربة ضربين من الاستعمار :أحدهما داخلي و الآخر خارجي ،وبالأحرى أحدهما روحي و الآخر مادي .فأما الأوّل هو جناية بعض من ينتسبون إلى الدين من العلماء ،أما الثاني فهو الاستعمار الغاصب الذي أذلَّ النفوس ،وأهدر الكرامة .فرأت

---

[1] عبد الملك بومنجل ،النثر الفني عند البشير الإبراهيمي ،بيت الحكمة ،الجزائر ،ط1 ،س ط جوان 2009م ،ص29.

[2] الشيخ البشير الإبراهيمي ،أنا ،مجلة الثقافة ،وزارة الثقافة والسياحة ،ص21

[3] آثار محمد البشير الإبراهيمي ،دار الغرب الإسلامي ،الجزائر ،ط1 ،س ط1997م ،ج1(1889 .1940م) ،ص11

الجمعية أن تبدأ بالأوّل لأنّه أعمق و أدخل في النفوس، فقرّر التّوجّه على بساط العلم و المعرفة بحملة جارفة على البدع و الخرافات والظلال في كل مكان وإنشاء المدارس وتعليم أبناء الشعب ،مطالبة الحكومة برفع سلطتها على أوقاف الأمة ،متحدّيًّا بذلك المستعمر الذي يغلي من السخط بعد رؤيته للجمعية تسير بشعبها، قائدة إياه على درب التعلم والرفض والنهوض.[1]

وبعد مرور سنة ظهرت نتائج الجمعية، فقررت توسيع جبهات نضالها لتشمل القطر كله،فكلف منذ سنة 1933م بالمقاطعة الغربية من الوطن وهي مدينة وهران، فاختار مدينة تلمسان مركزا لنشاطه المكثف فبدأ بحلّ النزاعات القبلية العرقية التي كانت سائدة أنداك بالمنطقة ،ثم أسّس بها دار الحديث سنة 1937م التي بُنِيت على نسق هندسيّ أندلسي أصيل،ومن ثمت أصبحت مركز إشعاع ديني وثقافي ،وعلمي حيث احتوت على مدرسة ومسجد وقاعة محاضرات ،فبعد مرور سنوات رفض الإبراهيمي المستعمر رفضا قاطعا[2] .فقررت السلطات إبعاده إلى صحراء وهران سنة(1940م) وبعد أسبوع من وصوله إلى معتقل (آفلو) تُوفي ابن باديس فقرر رجال الجمعية انتخابه رئيسا لها إذ تولى إدارتها بالمراسلة طوال السنوات التي قضاها بالمعتقل،ومن ثمّ كانت لهذه الإقامة الجبرية ردودها الفعلية من قبل الإبراهيمي، عكف فيها على تخطيط المشاريع البعيدة للجمعية، إلى جانب الكتابة والتأليف، في مختلف الجوانب الأدبية والعلمية ،وفي المواقف الجزائرية القائمة وقتئذ ،.وبعدما أطلق سراحه راح يجوب أقطار الوطن فأصبح قائدا للحركة الدينية والعلمية والثقافية فأنشأ في سنة واحدة ثلاثة وسبعين كُتّابا ،وهدفه من ذلك نشر اللغة العربية[3].

وبعد أحداث (ماي 1945م) زُجَّ به في السجن للمرة الثانية فبقي عام كاملا ذاق فيه الأمَرَّين ،فتحمل ذلك بصبر المجاهد ويقين المؤمن ،وبعد خروجه استأنف نشاطه مباشرة على نفس الدرب، فقام بإعادة بعث جريدة « البصائر» من جديد بعد أن توقفت أثناء الحرب فأشرف على رئاسة

---

[1] عبد الملك بومنجل ،النثر الفني عند البشير الإبراهيمي ،ص30

[2] آثار محمد البشير الإبراهيمي ،ج1 ،ص12/11

[2] خير الدين الزركلي ،الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ،دار العلم للملايين ،بيروت ،لبنان ،ط16 ،س ط كانون الثاني /يناير 2005م ،ج6،ص54

تحريرها .كما أسس عام(1948م) معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة فاستقبل المعهد ثمان مائة طالب،إذ يعتبر هذا الأخير هو المحطة الكبرى فيما بعد لإرسال الدفعات الطلابية إلى كل من مصر وسوريا و العراق، فكان بهذا العمل قد أسّس النّواة الأولى للدّراسات الجامعية والعليا.[1]

وهذا ما اقتضى من الإبراهيمي الرحيل إلى المشرق مرة ثانية وذلك سنة (1952م) ،وذلك برؤيته في أبناء الشعب الجزائري أسلحة عاملة و أمداد يتلاحق جمعها على فتح المدارس، وتهيئة سبل التعليم المختلفة ،فرحلته هذه تختلف عن رحلته الأولى فكان لها دافعان:

فالأول هو سعيه لدى الحكومات العربية لتقبُّل بعثات من شباب الجزائر لأجل تعليمهم.

أما الدافع الثاني:وهو مخاطبة العرب والمسلمين لأجل إعانتها ماديا لتتمكّن الجمعية من أعماله وهذا السعي يهدف إلى تحرير الفكر العربي مما تُوجبه القضية الجزائريّة، لأنّ الدعوة إلى التحرير الفكريّ والاجتماعي في الوقت ذاته دعوة إلى التحرير السياسي.[2] فاتّخذ من مصر منطلقا ورعى فيها نشاط أوائل البعثات الطلابية فكان سفيرا للجزائر وصوتها المدوي، ملقيا المحاضرات والدروس التي تمحورت حول أخوة الإسلام ،إضافة لزيارته لدول المشرق من الكويت ودمشق وعمان ومكة المكرمة والعراق، فكان يقوم بمقابلة المسؤولين والتحدث إليهم، وحضور المؤتمرات والمهرجانات، حيث تمكن من خلال هذا التعريف بالقضية الجزائرية، فلم يكتف بهذا وإنّما بذل جهدا قويا للوصول إلى أجهزة الإعلام من إذاعة وصحافة، ومن أبرزها إذاعة «صوت العرب»واستطاع في الأخير أن يرسل صوتا عاليا صريحا، جعل من الجزائر محل اهتمام وعناية في الأوساط الفكرية والقيادية ،فأثمرت هذه الجهود والمساعي فكانت من نتائجها الاتفاق من الوفود العربية لدى الأمم المتحدة على قبول البعثات العلمية من الطلاب الجزائريين للدراسة على حساب نفقاتهم الخاصة[3].

---

[1] الطّاهر يحياوي ،العلّامة البشير الإبراهيمي أمير البلاغة والبيان الجزائري ،ص9

[2] محمد عباس ،البشير الإبراهيمي أديبا ،ص56/55

[3] المرجع نفسه ،ص59/57

وبعد اندلاع الثورة وجّه نداء إلى الشعب الجزائري يدعو فيه إلى ضرورة الالتفاف حول الثورة وخوض غمار الجهاد المقدس، لأنّ ذلك هو السبيل الوحيد نحو حياة العزة والكرامة ،فكان من أوائل الشخصيات الذين تجاوبوا مع الثورة التحريرية، فظلّ بين حلٍّ و ترحال من بلد إلى آخر يستنهض الهمم ويحثُّ على منح الدعم المادّيّ والمعنويّ دون كلل أوملل إلى غاية استقلال الجزائر[1].

ومما مكّن الإبراهيمي للقيام بهذه الأعمال الجليلة وهذه المهام، قدرته العلمية والأدبية وبلاغة خطابه وفصاحة لغته .فنشاطه لم يتوقف عند هذا الحد وإنّما عرضت عليه مناصب مهمّة في المشرق العربي منها مشيخة جامع الأزهر الشريف لكنه رفضها كونها تتعارض وأهداف رحلته ،فعين بالإجماع عضوا مراسلا بمجمع اللغة العربية، وذلك اعترافا بغزارة علمه وسعة حفظه ودقة فهمه لآداب العرب ،بجمع فنونها من شعر ونثر وأمثال وأيام وأنساب ،وتاريخ ،ثمّ لزم هذا المنصب إلى غاية سنة(1961م) حيث تمّ عضوا ممثلا في الجزائر[2]فإعجاب المشارقة بسعة علمه وبخاصة مصر الذي أيدها كثيرا ضد الجهاد فهذا ما أكسبه هذه المناصب فقضى الإبراهيمي هذا الشوط من سفره بين هذه الأصقاع تاركا بصمته في كل حقل من حقول العلم والمعرفة، من مؤتمرات أدبية أو ندوات ثقافية أو مجامع علمية ،وبقي على هذا النمط دائم الاحتكاك بالمناخ الفكري والشخصيات العلمية إلى أن جذبته دعوة الأهل والوطن فعاد إلى الجزائر بعد استقلالها وذلك أواخر سنة (1962م)[3].

إذ لا يمكننا حصر كل الأعمال التي قام بها الإبراهيمي وهي لم تكن محض صدفة وإنّما كانت نتيجة ثقافته الواسعة ،وإطلاعه الكبير .

وفي أواخر سنة (1962م) عاد إلى الجزائر وظل بها إلى أن توفي يوم 19ماي 1965م وهو عن عمر يناهز ستة وسبعين عاما، فظلّ منزويًّا في بيته بعد هذا الجهاد الطويل اضطر إلى التقليل من نشاطه

---

[2] بشير فايد ،قضايا العرب والمسلمين في آثار الشيخ الإبراهيمي والأمير شكيب أرسلان ،دراسة تاريخية وفكرية مقارنة ج1 ،رسالة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر ،جامعة قسنطينة ،س1431هـ/2010م ،ص

[2] تركي رابح ،الإبراهيمي في المشرق العربي ،مجلة الثقافة ،وزارة الثقافة والسياحة ،ص235

[3] محمد عباس ،البشير الإبراهيمي أديبا ،ص59

بسبب تدهور صحته ،وكذلك بسبب سياسة الدولة الذي شعر أنّها زاغت عن الاتجاه الإسلامي كاعتمادها على الاشتراكية فانحصر نشاطه في عملين:

أوّلهما إلقاء أوّل خطبة جمعة بعد استعادة الاستقلال ،افتتح بها مسجد «كِتْشاوة» بالعاصمة ،الذي رجع كما كان مسجدا بعد أن حوّله الاستعمار الفرنسي إلى كتدرائية طوال قرنِ وثلث ،وقد ألقى بهذه الخطبة المشهودة بحضور وفود من جميع الدول العربية و الإسلامية.

أما ثانيهما هو إصدار بيان 16أفريل 1964م ،الذي دعا فيه السلطة آنذاك للدعوة إلى الحكمة والصواب ،وإلى جادة الإسلام ،بعد أن رأى البلاد تنحدر نحو الحرب الأهلية ،وتنهج نهجا ينبع من مذاهب دخيلة مضادة لعقيدتنا وروحنا وجذورنا.[1]

وهكذا دفن الفقيد بمقبرة (سيدي محمد)بالجزائر العاصمة بعد أن أقيمت عليه صلاة الجنازة بالجامع الكبير يوم21ماي1965م،وأُقيم حفل التأبين أثناء عملية الدفن وكان ممن حضر الموكب الجنائزي الرئيس الراحل هواري بومدين ،و العديد من الشعراء ،فكان ليوم وفاته الأثر البليغ في نفوس جماهير الشعب الجزائري ونعاه العالم العربي و الإسلامي، فوقف يرثيه بقصيدة حزينة جاء فيها:

قم بالحق الإخاء وأرث جميعا راحلا مخلص الولاء صميما

صد عنك الذي دنا منك ودّا وحنا عاطفا عليك كريما

إن صدّ(البشير)شبّ حنايا الصّد در نارا وهدها تحطيما

إلى أن يقول:

فسلاما ولا أقول وداعا أبت النفس أن تراك عديما[2]

[1] ،آثار محمد البشير الإبراهيمي ص13

[2] محمد عباس ،البشير الإبراهيمي أديبا ،ص63

كما رثاه عدد كبير من شعراء الجزائر أمثال الشاعر الكبير المرحوم محمد العيد آل خليفة ،في حين في الوطن العربي من اهتم بتقديم سيرة الإبراهيمي و الحديث عن جهاده ،ومنزلته العلميّة والثّقافية ،وشهد المجمع العلمي بالقاهرة حفل تأبين دعا إليه الدكتور طه حسين ،وكذلك الأمر بالنسبة للمجمع العلمي بدمشق ،كما كتبت الدكتورة بنت الشاطيء مرثية طويلة إثر وفاته نشرتها جريدة الأهرام تحت "رحل البشير"مرثية وذكرى ،منها قولها:

على درب الجهاد التقينا

وإلى حزب الله انتمينا

وبالقلم وبالضمير تعارفنا

والدكتورة بنت الشاطيء من الشخصيات العلمية الأدبية ،التي كانت ترى في الإبراهيمي المثل الأعلى للمثقف العربي ،وكانت على صلة علمية وأدبية دائمة حين إقامته بالقاهرة .[1]

فالإبراهيمي كان مدرسة، جمعت بين غزارة العلم، ودقة الفهم، والسماحة والحلم ،أملى إرادته على الحياة ،وأخضع أيامه لمشيئته، وكيَّفَها حسب أطوار الزّمان والمكان ،إنّه دائرة المعارف الإسلامية ،إمام في اللّغة العربيّة وبلاغتها ،وفيلسوف في التّربية ومناهجها.

[1] المرجع نفسه ،ص64.

ثالثا: آثاره

إنّ الشيخ الإبراهيمي لم يولي اهتماما كبيرا بمجال التأليف لأنّه وذلك كرس معظم وقته وحياته في تربية النشء وتعليمه حتى تصل أفكاره في ميدان العلم والمعرفة إلى جيلنا الحاضر ،إلى جانب ترؤُّسه لجمعية العلماء وهذا ما نستشفه من قوله :" لم يتسع وقتي للتأليف والكتابة مع هذه الجهود التي تأكل الأعمار أكلا ،ولكنني أتسلّى بأنني ألفت للشعب رجالا ،وعملتُ على تحرير عقوله تمهيدا لتحرير أجساده، وصححتُ له دينه ولغته فأصبح مسلما عربيّا..."[1].وبالرّغم من ذلك نجده ترك لنا مصنفات شتى يمكن تقسيمها إلى ضروب مجالات:

1/مجال الدراسات اللغويّة: ألّف الإبراهيمي في هذا المجال عدة مصنفات في النحو واللّغة تدل على علوّ كعبه وطول باعه ،ولكن كلّ هذه المؤلفات لم ترَ النّور ،فقد عبثت بها يد الزّمان إذ تركها مخطوطةً في الجزائر عند ذهابه إلى مصر في مطلع الخمسينيات ،ومن خلال عناوينه الّتي أورده تتّضح أهميتها.ومن بينها:

_ كتاب "أسرار الضمائر في العربيّة".

_ كتاب "بقايا فصيح العربيّة من اللّهجة العامّية بالجزائر"،فقد التزم فيه اللّهجة السائدة اليوم في مواطن هلال بن عامر.

_ كتاب "النُّقايات والنّفايات في لغة العرب"،ولقد جمع فيه كلّ ما جاء على وزن فعالة من مختار الشيء ومرذوله.

[1] محمد البشير الإبراهيمي ،أنا ،مجلة الثقافة ،ص32

_ كتاب "الاطّراد والشذوذ في العربيّة ":وهو رسالة في الفرق بين لفظ المطّرد والكثير عند ابن مالك.

_ رسالة في "ترجيح أنّ الأصل في بناء الكلمة ثلاثة أحرف لا اثنان"[1]

2/مجال الدراسات الأدبية: ترك الشّيخ تراثا ضخما في النّثر الفنّي والشعر، ولكن عدت عليها العوادي وما نجا منها إلاّ القليل وهذا بيان لبعض هذه المصنفات:

_كتاب "عيون البصائر"وهو الكتاب الوحيد الذي طبع في حياة الإبراهيمي بعد الاستقلال ،وهو يضم بين طيّاته مجموعة من المقالات السّياسّة والاجتماعيّة والدينية والأدبيّة والفكريّة التي كان يفتتح بها جريدة البصائر في سلسلتها الثانيّة.

_رواية "كاهنة أوراس " صاغها الشيخ بأسلوب يمتزج بين الحقيقة والخيال ،وهو من النثر الجزائري الحديث ولم يُطبع منها شيء.

_رواية الثلاثة :هي عبارة عن مسرحيّة شعريّة تشمل على نحو ثمان مائة وواحد وثمانين بيتا ،كتبها في منفاه بمدينة آفلو ،وطبع هده المسرحية أحد تلامذة ورفاق الإبراهيمي على الآلة الراقنة ،وقدم لها وعلّق عليها بشرح ممّا غمض من لفظ،كما نشرته الشركة الوطنيّة للنّشر والتوزيع في نهاية كتاب آثار الشيخ البشير الإبراهيمي الجزء الأوّل.

_كتاب ما أخلَّت به كتب الأمثال من الأمثال السائرة ، لم يطبع بعد.

_أرجوزة شعريّة :سماه صاحبها "ملحمة"نظمها وهو بالمنفى وهي تبلغ ستة وثلاثين ألف بيت .كما يقول الإبراهيمي نفسه أنها تضمنت فنونا في المواضيع من "تاريخ الإسلام ووصف لكثير من الفرق التي حدثت في عصرنا هذا ،وللمجتمع الجزائري بجميع فرقه ونِحَله ..."مما جعله يعرفه بأنّه شاعر رجّاز حيث لم يؤلّف في هذا العدد الضخم لأبيات الأرجوزة الذي لم يسبق فيها من قبل ولا من بعد

[1] توفيق جمعات ،قبسات من شخصية الإمام محمد البشير الإبراهيمي ،مطبعة روغي الأغواط ،ط1،س ط2010،ص112/111.

،سواء كان ذلك في الأدب العربي أم في الآداب الأجنبية [1]،إلّا أنّه لم يبقَ لنا من هذه الأرجوزة إلّا عشرات الأبيات.

3/مجال الدراسات الإسلاميّة:فلم يطبع في هذا المجال كتاب من وضع البشير الإبراهيمي،فالمؤلَّف الوحيد الحد الذي ذكر أنّه ألّفه قد ضاع من ضمن ما ضاع من مؤلفاته وقد عنونه "بحكمة مشروعيّة الزّكاة في الإسلام" وقد بدأ في تصنيفه أثناء إقامته في سوريا(1917_1920م)و أتمه بعد ذلك.إلى جانب كتاب آخر وهو"شعب الإيمان "جمع فيه الأخلاق والفضائل الإسلاميّة.

والحق أنّه من الصعب أن يجلس الإبراهيمي للتأليف ،والواجبات تتدافع ببابه ،ودرسه يغض بطلابه.[2]

نعم كيف يتمكن من تأليف عدد كبير من الكتب وهو منتقل من مكان إلى مكان ومن بلد لآخر محدثا وخطيبا ،ومدرسا ،ومصلحا وهدفه الأسمى هو تأليف جيل من الشباب يعتمد عليه وهذا ما أشار إليه في إحدى مقولاته الّتي سلف أن أوردتها من قبل.

[1] محمد عباس ،البشير الإبراهيمي أديبا ،ص74/73/72.

[2] توفيق جمعات ،قبسات من شخصية الإمام البشير الإبراهيمي ،مطبعة روغي الأغواط ،ط1،س ط2010 ،ص80 /81.

رابعا: منزلته العلمية

كان للإبراهيمي دور في تطوير الأدب العربي فكنت ثقافته العربية أوضح ورد بها من ثقافة الشيخ عبد الحميد فهذا اعتمد على الدروس الشافية ،وذاك على القلم والتحرير فأعطته الميزة مجالا للنقد والتوجيه، فاتّخذ من الصحافة ولاسيما جريدة البصائر ميدانا لقيادة الجيل الجديد[1].إضافة إلى ملكة الحفظ التي كان يتميّز بها طوّعت له ثقافته وعلمه مدارك أسرار القرآن الكريم ،وسبر أغوار اللغة العربيّة ،أضفْ إلى ذلك إحاطته شاملة بعلم التاريخ العام ،وعلم النفس ،وعلم الاجتماع ولهجات المواطنين و عوائدهم وأخلاقهم ،فيعطيك ما يناسبه ،ويخاطب الناس بقدر ما يفهمون [2]

كما أنّه كان لمحاضراته الكثيرة ومقالاته التي كان ينشرها في الصحف والمجلات كبير الأثر في تعرُّف العلماء والأدباء عليه ،فعاملوه بما يستحقُّ من الإشادة والتكريم والاعتراف بالفضل،فكان لا يعقد بمصر في الخمسينيات مؤتمر أو ندوة ،إلّا وكان الإبراهيمي واسطة العقد وضيف الشرف.فقد بلغ الإعجاب به والاعتراف بفنه وأدبه إلى أن قال الدكتور "منصور فهمي" عقب استماعه لمحاضرة ألقاها الشيخ في جمعية الشبان المسلمين :إنّ هذا المنبر الذي يقف فيه الشّيخ ساحة مقدّسة ينبغي أن

[1] محمد طمار ،تاريخ الأدب الجزائري ،سحب الطباعة الشعبية لجيش الجزائر ،ط1 ،س ط2007م ،ص360.

[2] محمد عباس ،البشير الإبراهيمي أديبا ،ص65.

يدخلها النّاس كما يدخلون الحرم ،وأعلن هنا أنّي لم أر أو أسمع في حياتي من هو أفصح وأبلغ منه ،لذا أتوجّه إليك قائلا :أنت ملك العربيّة في هذا العصر ،ملكتَ ناصيتها ونواصيَنا ،وإنّ أدعو العلماء والأدباء في الوطن العربي أن يلقوا إليك بمقاليد اللّغة والبيان"[1]

كما يشهد له كذلك الشيخ "عبد الرحمن شيبان" رئيس جمعية العلماء المسلمين قائلا :"لقد كان ــرحمه اللهــ إماما في العربية وبلاغتها ،تفقّه في أسرارها وتغذى بآدابها واستنار بقرآنها ،فكن خطيبا مصقعا يهزُّ القلوب ببيانه السّاحر ،يعيد للأذهان ما كان للخطابة العربيّة ،فكان متحدّثا بارعا لطيفا يغمر مجالسه بالحكمة ويجمّلها بالنكتة ،ويعطّرها بأريج ينعش الأرواح والعقول ،كان ديوانا لأيام العرب وآدابهم وتقاليدهم في حربهم وسلمهم ،يروي عن حفظ وبصيرة ،ويصدر عن حافظة واعية وذاكرة منجدة ،وكان إلى جانب ذلك فحلا في الفصيح والملحون يذكرك بالمعرّي في لزوميّاته ،وأبي الطّيّب في حكمه وأمثاله ،أمّا أسلوبه فكان جاحظ عصره، وبديع زمانه، مما جعله بحقّ معجزة القرن العشرين"[2]

كما تمتّع بشخصية علميّة ،ألبسته ثوب المهابة والعظمة ويسّرت له سبل الانتصار المعنوي في مواقفه الهادفة إلى بثّ روح العلم، وتحقيق روح الإصلاح الاجتماعي والثقافي، خاصة ،فهو دائرة معارف منتقّلة كما يقول أحد رفقائه.

وكلّ هذا مكّنه من أن تكون لديه منزلة علميّة ميّزته بشخصية نموذجية تعطي عنه المثل النادر للمثقف العربي في القرن العشرين ،فهي شخصية متعددة الجوانب، تجمع بين معالم الكاتب القدير ،والفيلسوف المفكر ،والأديب الحقّ ،والخطيب المصقع ،والشاعر الفنان، والمصلح الاجتماعي، والمفسر المشرّع.[3]

---

[1] توفيق جمعات ،قبسات من شخصية الإمام البشير الإبراهيمي ،ص158.

[2] المرجع نفسه ،ص159

[3] محمد عباس ،البشير الإبراهيمي أديبا ،ص68/64.

الفصل الثاني: أنواع الخطابة

أولا:الخطبة الدينيّة

ثانيا :الخطبة الأدبيّة

ثالثا :الخطبة السيّاسيّة

لقد تعدّدت الفنون الأدبية وانتشرت في مختلف الأقطار والأزمان، منذ الجاهلية إلى غاية العصر الحديث ،ومن بين هذه الفنون فنّ الخطابة الّذي عرف بتطوره تارة، وذلك بفخامة ألفاظه وجزالته، وبين ضعفه في فترات أخرى ،فعرف عند أدباء الجزائر وعلمائها، وبخاصة عند أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أمثال: عبد الحميد بن باديس ،والطيب العقبي ،والبشير الإبراهيمي .

ومن ذلك فالخطابة في **اللغة** تقوم على أصول ثلاثة وهي (**الخاء ،والطاء ،والباء**) أي مادة (**خطب**) إذ عرفه الخليل في معجمه :"الخطب هو سبب الأمر ،والخطاب مراجعة الكلام والخطبة مصدر الخطيب وخطب الخاطب على المنبر و اختطب يخطب خطابة"[1]

أما ابن منظور ذهب إلى القول:"الخطب هو الأمر التي تقع فيه المخاطبة ;وفي التنزيل الحكيم قال :﴿**فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا المُرْسَلُونْ**﴾*وجمعه خطوب"[2]وكذلك وردة اللفظة في قوله تعالى:﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمنِ الّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وإذَا خَاطَبَهُمْ الجَاهِلُونَ قَالوا سلاَما**﴾*

وخاطبه أحسن الخطاب وهو المواجهة بالكلام ،وخطب الخطيب خطبة حسنة وخطب الخاطب خطبة جميلة.[3]

ورجل خطيب حسن الخطبة بالضم جمع خطباء ،وقد خطب بالضم خطابة وبالفتح صار خطيبا.[4]

أما في **الاصطلاح** فتعدّدت التعاريف والمفاهيم حول هذا الفن الأدب، الذي لقي العناية والاهتمام من قبل دارسيه من فلاسفة وأدباء ،وبلاغيّين ،وغيرهم ولعلّ من أبرزها والمتداولة كثيرا:

---

[1] الخليل (170هـ) ،العين ،تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ،د ط ،د س ،ج4 ،ص222.

* سورة الذاريات الآية 31

[2] ابن منظور(711هـ) ،لسان العرب ، المجلد 3 (خ د ذ) ،دار الحديث ،القاهرة ،طبعة مراجعة ومحققة ،س ط1423هـ/2003م ،ص135.

* سورة الفرقان الآية:63.

[3] الزمخشري (537هـ) ،أساس البلاغة ،دار الفكر بيروت ،لبنان ،ط1 ،س ط 1427هـ /2006م ،ص167.

[4] محمد مرتضى الزبيدي (1205هـ) ،تاج العروس ،تحقيق علي هلالي ،مطبعة حكومة الكويت ،ط2 ،س ط 1408هـ/1987م ،ج2 ،ص380.

تعريف أرسطو لها بقوله :"هي الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع في أيّ موضوع كان"[1]

وكذلك يعرّفه الحكماء ،فيقولون:"هو مجموعة قوانين يقدر بها على الإقناع الممكن في أي موضع يراد ؛والإقناع هو حمل السامع على التسليم بصحة المقول وصواب الفعل أو الترك". في حين يعتبره الفلاسفة علما له أصوله وقوانينه، تمكّن الدارس لها من التأثير بالكلام.

أما الأدباء فيتّجهون إلى القول أنّها تقال على معنيين: أحدهما: أنّها كالخطبة بضمّ فسكون، اسم للكلام المنثور سجعا كان أو مرسلا ،وثانيهما: هو إلقاء الكلام المنثور مسجوعا كان أو مرسلا لاستمالة المخاطبين إلى رأي أو ترغيبهم في عمل وهذا ما يريدونه في قولهم فلان يقوم على الخطابة أكثر مما يقوم على الكتابة.[2]

بينما نجد الجرجاني يعرفها بأنّها قياس مركب من مقدمات مقبولة أو مظنونة من شخص معتقد فيه ،والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور ومعادهم كما يفعل الخطباء والوُعَّاظ.[3]

ويورد أبو زهرة من العلماء المحدثين تعريفا آخر :"أنّها صفة راسخة في نفس المتكلم، يقتدر بها على التصرف في فنون القول لمحاولة التأثير في نفوس السامعين، وحملهم على ما يُراد منهم في إقناعهم".[4]

بينما تذهب معاجم المصطلحات للقول :"إنّها مجموعة من القواعد يلتزم بها الخطيب أثناء إلقاء خطبته أمام الجمهور وذلك كرفع الصوت وخفضه أحيانا،ومراعاة الصور البيانية، وتقسيمها إلى فقرات والضغط على المواطن الهامّة فيها..." [5]

أما بعض الدارسين فيذهبون إلى تعريف أشمل يتبيّن من خلاله أنه ألمّ بجميع التعريفات السابقة :"الخطابة فن من فنون الكلام ،غايته إقناع السامعين واستمالتهم، والتأثير فيهم بصواب قضيّة وتخطئة أخرى".و لاكتمال هذا المفهوم لابدّ من مهارة الخطيب لأن هذا الفن لا يتأتّى إلاّ لمن يستطيع أن يلعب بهذه العناصر لعبا فنيا

[1] عبد الله علي جابر المري ،الخطابة عند الفاروق دراسة أسلوبية ،مذكرة ماجستير ،كلية الآداب والعلوم ،جامعة الشرق الأوسط ،س2012/2011م،ص10.

[2] الشيخ علي محفوظ ،فن الخطابة و إعدد الخطيب ، دار الاعتصام ،د ط ،دس ،ص 11 ،13 14.

[3] الشريف الجرجاني (816هـ)،التعريفات ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،ط2،س ط 1424هـ/2003م ،ص 104.

[4] عبد الله علي جابر المري ،الخطابة عند الفاروق دراسة أسلوبية ،ص12/11.

[5] مجدي وهبة و كامل المهندس ،معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ،مكتبة لبنان ،بيروت ،ط2 مزيدة ومنقحة ،ص119.

متّخذا الوسائل المختلفة، مستعينا بالأدلّة والبراهين.[1] ومن تمتَ ما يمكن أن نخلص إليه أنّ هذه التعاريف كلها تدور في منحى واحد، وهو الهدف الأسمى الّذي ينبغي أن تحقّقه وهو الإقناع وبأي طريقة كانت ،بينما نجد في جانب آخر منها _التعاريف_ من يضيف الطرق التي يجب أن يمتلكها الخطيب ،وهناك من يضيف الصفات ...

فالحديث عن نشأة الخطابة قديم ،إذ وجدت بوجود الإنسان ونشأة بنشأته ،ارتقت برقيه فكانت متى وُجدت جماعة من النّاس تتكلّم بلسانٍ واحد فيختلفون في آرائهم ومعتقداتهم بالصواب و الخطأ، كانت هي الوسيلة لإقناع بعضهم بعضا ،وتسابق النبهاء منهم إلى استمالة المخالف وإلى التأثير فيهم بطرق شتى والضرب على أوتاره.[2]

فلو أردنا التأريخ له لوجدناه عرف عند اليونان ،كما عرف في العصر الجاهلي إلّا أنّه لم يكن منتشرًا كثيرا وهذا راجع إلى طبيعة العصر كون الرُّوَّاة لم يهتموا بالنثر كثيرًا، مثلما اهتموا بالشعر الّذي كان وقتئذٍ ديوان العرب[3] فبه يتفاخرون ،وبه يتهاجون .

لكن بدخول الإسلام بدأ هذا الفنّ ينمو ويتطوّر شيئا فشيئا حتى ارتقى في صدر الإسلام ،فنبغ فيه عدد كبير من الخطباء وهم الخلفاء الرّاشدون ،إذ كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم سيدَهم بلا منازع ،فأصبحت من الوسائل الضرورية، لنشر العقيدة الجديدة ،كما نجد في العصر الأموي الّذي يعتبر قسم من صدر الإسلام نبوغ جماعة من مشاهير الخطباء الذين اعتنوا بهذا الفن فبلغ الرقيّ ،والسرُّ في ذلك هو اعتبارهم أنّه ضرورة من الضرورات لبثّ الآراء في هذا العصر[4]، ولكن هذا العقد من الزمن تميز بعودة الخطابة إلى ما يشبه عهد الجاهلية، من حيث الدفاع عن القبيلة؛ مما أدّى إلى اتساع الموضوعات وتعدّد الأساليب،لكن سرعان ما ضعفت في العصر العباسي وفي العصور الّتي تلتْها ،فكانت الخطبة السياسية ميّتة، أما الدينية فكانت محصورة

[1] عمر الدّسوقي ،محمد صادق عفيفي ،محمد الفاسي ، الأدب والنصوص للسنة الرابعة ثانوي ،مكتبة الوحدة العربية ،د ط ،دس ،ج4 ،ص99.
[2] المرجع نفسه ،ص 99.
[3] النثر في العصر الجاهلي ،
[4] مصطفى الفار ،داود الشوابكة ،باقات من النثر العربي القديم دراسة تطبيقية ،دار الفكر ،الأردن ،ط1 ،س ط 1426هـ/2005م ،ص19.

في خطب الجمعة والأعياد ،أمّا أسلوبها فانحطّ من ذلك الأسلوب الرّقي المتميّز ،إلى الأسلوب البديعي المزخرف ،أمّا موضوعاتها فكانت تقليديّة مكرّرة واقتصرت أغراضها في المناسبات إلى غاية العصر الحديث [1]

ففي هذا العصر دبّت حياة جديدة في الخطابة فانتعشت ولم تعد محصورة في المساجد بل اتصلت بكلّ نواحي المجتمع ،فتناولت شتى الشؤون الدّينيّة والعمرانيّة ،والفكريّة وهكذا فتحت أمامها آفاق جديدة لم تعرفها سابقا. فظهر من الرّجال على المنابر في هذا العصر عدد كبير ممن تركوا آثارًا بيّنةٍ في الأدب الحديث. كما تميزت الخطابة الحديثة بسعتها وتنوع موضوعاتها ،وحريّة أسلوبها بعد أن كانت قبل النهضة ضيقة النطاق تغلب عليها الصناعة ويسودها الإسفاف ،والتكلّف المستهجن بحيث أصبحت واسعة المجال تجري في طريق التعبير المرسل الحر.[2]

فهذا التميز مسّ الخطابة في الجزائر، وهذه النهضة عُرفت بفضل الأمير عبد القادر وبعض المثقفين الجزائريين الّذين ملكوا ناصية القول، وأدركوا خطر الخطابة في الدعوة إلى الجهاد، واستنفار الّذين يحاربون الأعداء إذ أصبحت وظيفتها بالنسبة إليهم هو التعبير عن القضية الوطنيّة، أو عقيدة روحية بدل أن كانت قبل الاحتلال تعبيرًا عن موضوعات مكررة، ولقد زاد هذا اللّون الأدبي تطورا بفضل إنشاء الجمعيات الثقافية والنوادي ،وتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الّتي كانت المحضن الدافئ الّذي ترعرعت فيه الخطابة الجزائريّة وزادت تدرجا في الارتقاء وذلك لما أولاها علماء هذه الجمعية من الرعاية والاهتمام ووفروا لها من أجواء النمو الازدهار.[3]

فالإبراهيمي كان كذلك رائد هذا الفن دون منافس، وذلك لما اتّصف به من صفات الخطيب البارع إلّا أنّه للأسف لم يبقَ لدينا من خطبه إلّا القليل، وسبب ذلك أنّه كان يرتجل خطبه، وكذلك انتقاله من منطقة إلى أخرى.[4]

[1] عبد الله الركيبي ،تطور النثر الجزائري الحديث 1830 /1974م ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،ط1 ،س ط1983م،ص13

[2] أنيس المقدسي ،الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة الحديثة ،دار العلم للملايين بيروت ،لبنان ،ط 6 ،س ط 2000م ،ص399.

[3] عبد الله الركيبي ،تطور النثر الجزائري الحديث 1830 /1974م ،ص14.

[4] عبد المالك بومنجل ،النثر الفني عند البشير الإبراهيمي ،بيت الحكمة ،الجزائر ،ط1 ،س ط2009م ،ص 46.

ويتضح ذلك من خلال قوله :"...فأنّني أجد من السهولة ومواتاة الكلام في الخطابة ما لا أجده في واضع الكتابة ثم جاءت العادة والمران فأحكما ذلك في طبعي ،ومردُّ ذلك في نفسي وفي نفسي أنّني تجدني في الخطابة مأخوذا بالمغافصة ،وهي لا تدع المجال للرويّة والتحكيك، وعرض الأساليب، واختيار أحسنها ،وقد يعين المرتجل على الارتجال مصحوبا بالعذر وأنّ صور الكلام وألفاظه أعراض تنقضي، فلا يستطيع السامع أن يحاسب على دقائقها ،ولا تبقى من المحاضرة إلّا الصّورة الكليّة المجملة .."[1]فهذا القول يوضّح لنا أنّ الإبراهيمي لديه غرض من ارتجال خطبه.

ولم يتأتَّ له ذلك إلّا بفضل ثقافته الواسعة، وذاكرته الواعية القويّة، فكل من حضر خطبه اعترف بعلمه وسعة مقامه؛ إذ يذكر الدكتور أحمد نايت في قول له:"..أحببت أن أسبر غور السليقة العربيّة فيه ،و أبلو عمق ملكة الفصاحة في لسانه ،وغزارة المادة في تبيانه، فهالني منه أن أسمع الرجل يقول فيطيل القول ثلاثة ساعات كاملة فلا يعثر لسانه ،ولا يلتوي عليه بيان، ولا يعوزه على ما يقوله برهان ،وآمنتُ أنّ الرّجل أخطب من سحبان.."

كما نجد كذلك الدكتور أبا بكر بلقاسم يذهب نفس المذهب أثناء تعليقه على ما كان الإبراهيمي يرتجل من خطب، فيرى أنّ عربيّته في خطبه تذكّر بأسلوب الجاحظ و أضرابه هذا كله يوحي لنا بزعامة الإبراهيمي في فن الخطابة ،وتبين لنا مقدار المنزلة الفنية الّتي بلغها في إلقاء القول على النّاس.[2]

وما يمكن الإشارة إليه كذلك من الخصائص الّتي تميزت بها خطبه أنّها السمات نفسها الّتي برزت في مقالاته تقريبا كالمنهجية السليمة والصياغة الأدبيّة..إلا اختلاف طفيف ألا وهو خلو الخطابة من الأسلوب الساخر ،والألفاظ العامية والأجنبية ،وليس فيه إكثار من السجع إلّا ما جاء في طلوع الخاطر دون أدنى تكلّف.[3]

فكان لهذا الفن الأدبي من الأهمية والقيمة ما كان إذ نتجت عن أمور أهمّها:بيان من البيان الّذي هو نعمة الله على الإنسان ،وسلاح من أسلحة الدعوة ،وظاهرة من ظواهر المجتمع البشري.[1]

---

[1] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ،دار الغرب الإسلامي ،ط1 ،س ط 1997م ،ج4 ،ص109

[2] عبد الملك مرتاض ،فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931-1954م ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،س1983 م ،ص282.

[3] عبد المالك بومنجل ،النثر الفني عند الإبراهيمي ،ص48.

فهذه القيمة الأدبية لهذا الفن تجلى عند الإبراهيمي نظيرا بغيرها من الفنون كونها وسيلة من الوسائل الّتي تنهض بها الأمّة بمختلف جوانبها ويعدها بمثابة التمثيل بقوله :"**التمثيل والخطابة عند الأمم الحيّة توأمان وأخوان شقيقان ،وأنّ منزلتهما من دواعي التهذيب والتربية الفاضلة لأرفع منزلة وأنّ مكانتها من بين مقومات الأخلاق بمنزلة الطعام والشراب ومن بين مقوماتها الجسدية وما بنيت نهضة من النهضات الأخلاقيّة وفي الأمم الجديدة إلّا وللتمثيل والخطابة في بنائها الحظّ الأوّل..**"[2]

ومهما كان الأمر فالخطبة كنثر وإن كانت مختصرة فإنّ لها المكانة المرموقة، ومن الخطورة خطورة وسائل الإعلام في عصرنا الحالي ،ووسائل التعليم والترفيه ،والتدريب ،والتهاجي والتناجي .

كما أنّ نموّها ورقيّها لا يكون إلاّ بعاملين وتنحط بفقدانهما ؛أحدهما:أن تتمتع الأمم بنصيب من الحرية في الفكر والقول.

أمّا ثانيهما:وهو أن تشعر بسوء حالتها ،وتصور لنفسها صورة من الحياة أفضل مما هي عليه.[3]

وبفضل هذه القيمة الّتي تميزت بها الخطابة وكونها ضرورة من ضرورات الحياة الاجتماعية تعددت أنواعها من المجال الأدبي، إلى المجال الديني، إلى المجال السياسي، ولكلٍّ من هذه الأنواع أهدافها ،وهذا ما سأحاول الحديث عنه في ثنايا هذا الفصل وبخاصة عند الشيخ البشير الإبراهيمي .

[1] محمود محمد عمارة ،الخطابة بين النظرية والتطبيق ،مكتبة الإيمان منصورة أمام جامعة الأزهر ،ط1 ،س ط1418ه /1997م ،ص244.

[2] عبد الحميد بن باديس ،مجلة الشهاب ،المجلد1 ،دار الغرب الإسلامي ،الجزائر ،ط1 ،س ط1421ه /2001م ،ص85

[3] النثر في العصر الجاهلي،

أوّلا: الخطبة الدينية

هذا النّوع يتميز عن غيره من الخطب ،كونها كانت أسبق ظهورا نظيرًا بغيرها من الأنواع إذ كان من خلالها العلماء أو الخطباء يحاولون نشر الوعي في الناس، كما أنّها كانت في بداية الأمر تقتصر على المساجد إذ اتخذ هذا النوع طابعا خاصا تجلّى من خلال تعريف بعضهم أنّها تعتمد على إثارة العاطفة لتحبب إليها الخير ،وتنفرها من الشّر وتوجهها إلى تقوى الله وحبّه وخشيته ؛إذ هي كلها تضمُّ كلاما دينيا تخاطب بها العامة والخاصة من النّاس في أمور دينهم، فلم يحدد لها خصائص وميزات تميزها عن غيرها من الأنواع [1]

فهذا التعريف يعتمد على إثارة عاطفة المتلقي، فهناك من يتّجه تقريبا في نفس الاتجاه في تعريفه للخطبة الدينية باعتبارها كل خطبة تدور موضوعاتها حول التمسك بالدين والتبصير بحدوده والحث على فضائله والدعوة إلى مكارم الأخلاق.[2]

غير أنّه هناك من يعطي مفهوما آخر للخطبة الدينية باعتبارها :"هي أوفى الأنواع بمطالب النّاس ،إذ الخطيب الديني رائد في قومه لا يكذب أهله، وهو معهم في صباحهم ومسائهم ،وفي السراء والضراء لا يفترق عليهم بحال إذ لابد أن يكون خبيرًا بالنفوس بصيرًا بسنن الله تعالى في المجتمع البشري ،إلى جانب الأسلوب المؤثر"[3]

ومما يُلاحظ من خلال هذا المفهوم أنّ صاحبه أراد التركيز على بعض ما يجب أن يتميز به الخطيب الديني إضافة إلى ما يجب الإحاطة به.

وإذا ذهبنا لتتبّع جذور هذا الفن قد احتلّ الساحة مند القدم فتناول موضوعات أخلاقية دينية ،وفلسفية تبحث عن روح الأديان وبخاصة بعد ظهور الإسلام ،إذ كانت الخطبة الدينية في هذه الفترة خطابة دين جديد توجه إلى العقل والقلب، وتعمل على توضيح الآيات فتعتبر في الوقت نفسه خطبة دفاعية تدحض آراء الخصوم، وترد عن كل مكابر. كما استدعت أن تكون إلى جانبها خطبة أخرى وهي الخطبة السياسية فتكون امتدادا لها

[1] محمد عباس ،البشير الإبراهيمي أديبا ،كلية الآداب جامعة بغداد ،س1983م ،ص203

[2] بلوافي محمد ،فنون النثر الأدبي في العصر الجاهلي والإسلامي ،تاريخ20 مايو 2009.

[3] محمود محمد عمارة ،الخطابة بين النظرية والتطبيق ، ص245.

لأنّ العهد عهد صراع.[1]

لكن إذا انتقلنا إلى القرن الثامنَ عشرَ لمحنا تغير الحال وصار اللمح تصريحا ،إذ عرف هذا العصر بعصر التنوير والتحرر العقلي إلى درجة الإلحاد ،واستيقظت فيه السياسة متمثلة بيقظة الشعب ،إذ ظلّت طوال هذه الفترة متمسكة بالثورة في أي بلد ومساندة له ،لكن مع حلول القرن التاسعَ عشرَ الّذي عرف بالديمقراطية و العاطفية ساهم ببروز الخطبة الدينية مما جعلها أكثر نموًّا فما لحقها من القرون.[2]

وكما سبق لنا الذكر أنّ هذه الخطب ذات الموضوعات الدينية حاولت معالجة موضوعات مختلفة كلها تتصل بالدين وتعود إليه وأهمها؛ خطب الجمعة ،وذكرى بدر ،وليلة القدر ،والمولد النّبويّ ،وشهر رمضان ،إذ كان لهذه المناسبات الدينية التي ألقيت فيها الخطب دور كبير في الجزائر وبخاصة في تطوير الخطابة العربية و إثرائها كما كانت فرصا عريضة لرجال الإصلاح الذين كانوا في نفس الوقت يمثلون رجال الأدب وأعلامه البارزين، ليُظهروا فيها مواهبهم الخطابية ،وقدرتهم على الارتجال ،و افتضاض المعاني[3].

هذا ما يحلنا للقول أنّها في بداية الأمر كانت تتميز بشيء من طابع تعليم الدين أي الشعائر التعبدية من صلاة وصيام وحج..لكن بفعل متطلبات العصر تحررت، لتشمل جوانب أخرى فتعدد بذلك الخطباء الذين أبدعوا فيها.

كما كوّنت الخطبة الدينية ظلّا واسعا في الأدب بصفة عامة ،نجدها كذلك في أدب الإبراهيمي والّتي تأتّت له بفضل امتلاكه للبيان الراقي، إذ كان آية من آيات الله في الخلق فقد كتب وألقى خطب فيما يتعلق بجانب العبادات حيث كان فيها شديد الحرص على تبيين حقائق الدين صافية ناصعة خالية من التعقيد والابتداع.[4]

إذْ لم تنحصر خطبه في تعليم الدين بل تجاوزته لتشمل كذلك الاحتفالات الدينية مثل ختم القرآن حيث نجده من خلالها ينزع منزعا إصلاحيا ،فخطب الإبراهيمي الدينية أثناء تمعننا فيها نجد فيها ميزات قد لا نجدها في

[1] حنا الفاخوري ،الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم ،دار الجيل ،بيروت ،لبنان ،دس ،د ط ،ص 337.

[2] علي جواد الطاهر ،مقدمة في النقد الأدبي ،المؤسسة العربية للطباعة والنشر ،بيروت ،ط1 ،س ط 1979م ،ص167.

[3] عبد الملك مرتاض ،فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931-1954 ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،د ط ،س ط1983م ،ص289.

[4] عد المالك بو منجل ،النثر الفني عند البشير الإبراهيمي ،بيت الحكمة ،الجزائر ،ط1 ،س ط2009م ،ص 82 /83.

خطب غيره ،كما أنّه لم ينتهج منهجا واحدا في جميع الخطب ،فقد نجد الخطبة بتراء إذ لا يقدم لها،مثال ذلك الخطبة الّتي ألقاها في الحفل البهيج الّذي أقيم بكلية الشعب على شرف الشيخ عبد الحميد بن باديس بمناسبة ختمه تفسير القرآن.[1]

يبدأ فيها بقوله :"**أيها الملأ الكرام ما أشرقت شمس في الجزائر الحديثة على مثل يومكم بالأمس .ولقد مضى بجلاله وروعته ،ولم ينطق في وصفه لسان بكلمة ،ولا اختلجت في نعته شفتان بحرف لا زهدا فيه ولا عرفانا لحقه ولا غُبنا لحقيقته**"[2] إذ كان من المفروض أن يبدأ بتقديم لخطبته لكنه لم يفعل ذلك لأنّ الهاجس الوحيد أمامه هو الحفاظ على قيم الدين الإسلامي في الجزائر، إضافة للحفاظ عن العروبة هذا ما أعطى خاصية للخطبة عنده.

كما انّه كان في خطبه ذات الطابع الديني يعتمد في موازناته ومقارناته على الدين والتاريخ الإسلامي ،كما أنّه كان كثير التنويع في الصياغة والتناول من التقديم والتأخير ،إذ نجده في نفس الخطبة ختمها بما هو من المفروض أن يبدأ به ،إلّا أنّ ذلك لم يؤثر عليها وذلك يعود إلى ثقافته الواسعة وإلى معرفته الدقيقة باللّغة وقدرته العجيبة على التصرف فيها ،وتوليد المعاني منها وإدارتها على النحو الّذي يريده ،فضلا على ذلك تأثير الخطبة في المستمعين كونها تشتمل على حقائق وخصائص فنية إلى جانب صياغة الأفكار.[3]

ومن الخصائص كذلك الّتي ميّزة خطبه كذلك حقل من المفردات استعملها في خطبه الدينية دون غيرها لأنه كان يبتعد عن العامية ومن مفردات هذا الحقل :(**إكليرجي ،كاتيدرائية ،ثيوقراطية**..)،فالإبراهيمي وهو يكتب بالعربية لا يطلق على رجال الدين المسيحيين بالجزائر مصطلح رجال الدين أو القساوسة ،لأنّ القيمة الدلالية لرجل الدين في المعجم العربي الإسلامي هو رمز للسماحة والعدل ،والرأفة بالناس ...وهي قيمة ثابتة في أذهان الناس ،إنما يوظف اللفظ الفرنسي اللفظ (le clergé)لأنه رمز للظلم والتسلط والتغيير في الجزائر. ومعنى هذا اللفظ في المعاجم هو سلك رجال الدين أو قساوسة المقاطعات التي كانت تنتمي إلى فرنسا ،وكانت

[1] محمد مهداوي ،البشير الابراهيمي واللّغة العربية ، رسالة ماجستير ،جامعة دمشق ،س1986/1987م ،ص 120

[2] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ،دار الغرب الإسلامي ،ط1 ،س ط 1987م ،ج1 ،ص249.

[3] محمد مهداوي ،البشير الإبراهيمي واللغة العربية ،ص121/122.

متمثلة في رجال الدين ،حتى أنّ الإبراهيمي يقيم فرقا بين الدين الإسلامي ورجاله والأديان الأخرى بقوله أن الإسلام دين ديمقراطي سمح ،وليس فيه نظام اكليرجي متسلط كبقية الأديان.[1]

إلى جانب هذه اللفظة استعمل لفظة **كاتيدرائية** ومعناها وتدل في معجم المعاني على "**كنيسة الكرسي الأسقفي ،وهي أكبر كنيسة في منطقة دينية وتكون مقرا لإقامة البابا ،وقيل احتفل المطران بالقداس في الكاتدرائية**".[2]

فالإبراهيمي في خطبه الدينية حاول إيقاض الفكر الإنساني من الجمود والمحافظة على الدين وتعاليمه ،وغرس ثقافة الإصلاح في مجتمعه.

[1] عبد الله بوخلخال ،مقال حول العلاقة بين اللفظ والمعنى بين المفهوم المعجمي والاستعمال عند البشير الإبراهيمي من خلال عيون البصائر.
[2] معجم المعاني،

ثانيا :الخطبة الأدبية

لون من الخطابة في الأدب العربي الحديث وتشمل الأدب والتاريخ والثقافة ،وما يتعلق بها ،[1]إذ يدل هذا التعريف على أنّها من الأنواع الّتي عرفت حديثا،إذ من خلال هذه الخطب يحاول الخطيب التعريف بأديب ما أو الوقوف على مآثر شخصيته ،كما أنّه يحاول التأريخ لقضية من القضايا ...

إذ من الممكن أن نشرك هذا النوع مع المقالة الأدبية في بعض من خصائصها والمتمثلة في:أن الأديب كونه خطيبا يعبر عن وجهة نظره حول الموضوع وذلك باستهلال يجدب القارئ مع استعمال الصور الّتي تنقل المتلقي إلى عالم أرحب خيالا ،التنويع بين الخبر و الإنشاء[2]

لقد تميز الإبراهيمي في هذا المجال كثيرا، كونه الأديب الموغل في الالتزام بقضايا أمته ،إذ يمكن أن نطلق هذه التسمية على قسط من خطبه التي ألقاها في المناسبات الفكرية والعلمية والأدبية ومنها الخطبة التي ألقاها بالمجمع العلمي بالقاهرة يوم أن عين عضوا فيه سنة 1961م ،والخطبة التي ألقاها بمناسبة مهرجان شوقي.

فمن هاتين الخطبتين يمكن أن نستنتج بعض المميزات أو الخصائص منها:إنّ تقديمه في الخطبة يختلف عن الخطبة الدينية التي كنا قد أشرنا إليها سابقا من حيث الشكل إذ أنّ الخطيب هنا يلتزم المنهج القديم لخطباء الرعيل الأوّل من العصور العربية ،فيستعمل أسلوبهم التقليدي بقوة الصنعة وحرارة اللهجة وقدم المعنى.[3]

كقوله في بدايتها :"**حياكم الله وبياكم وأدامكم ،وأحياكم** ،وأبقاكم للعروبة تصونون عِرضها ،وتستردون فرضها ،وللغة العرب تجمعون شتاتها ،وتحيون مواتها..."و كذلك في خطبته الثانية ينتهج نفس المنهج إذ يفتتحها بمقدمة شبيهة بها ،إلى جانب اعتماده الترادف بين الألفاظ والتقارب بين الأفكار حتى يفسح المجال

[1] أنيس المقدسي ،الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة ،دار الطبع للملايين ،بيروت ،لبنان ،ط6 ،س ط يونيو 2000م ،ص400.

[2] أحلام بالولي ،بلاغة اللغة في أدب المقال الإصلاحي عند محمد البشير الإبراهيمي –عيون البصائر أنموذجا –،جامعة العقيد أكلي محند أولحاج ،البويرة ،س2013 2014 ،ص36 37.

[3] محمد عباس ،البشير الإبراهيمي أديبا ،رسالة ماجستير ،كلية الشعب ،جامعة بغداد ،س1983م ،ص197.

لتوارد أفكاره فمثلا يبدأ في خطبته الأولى يطرح قضية اللغة العربية جوهرا للخطبة ،ويحاول الإلمام بمنزلتها في الوجود ومراحلها التاريخية التي قطعتها ،وهي تساير أعاصير الزمان.[1]

إلى جانب اعتماده الأسلوب السردي في أغلب خطبه الذي يميل من خلاله إلى التلقين والتعليم وسبب ذلك هو أنّ الإبراهيمي كان مدرّسا وملقّنًا ،وعرض الحقائق التاريخية والأدبية قاصدا من وراء ذلك الإفادة، فغلب على أسلوبه الوصف الخارجي فاعتمدت خطبه على أدوات الربط البسيطة ،ومما يلحظ من هذه الخطب أنه تبين القيمة الشعورية التي تهيمن على أفكار الخطيب[2] وهذا نموذج يبين لنا أسلوب السرد الذي تضمّنه هذا النوع من الخطب يقول فيها :"فالقرآن هو الذي وبأها وأدبها وزكى منها النفوس وصفى القرائح ،وأذكى الفطن ،وجلا المواهب ،وأرهف العزائم ،وهذّب الأفكار وأعلى الهمم ،واستفز الشواعر ،واستثار القوى ،وصقل الملكات ،وقوى الإرادات ومكن للخير في النفوس ،وغرس الإيمان في الأفئدة وملأ القلوب بالرحمة ،وحفز الأيدي للعمل النافع ،والأرجل للسعي المثمر ثم ساق هذه القوى على ما في الأرض من شر وباطل ،وفساد فطهرها منه تطهيرا، وغمرها بالخير والحق والإصلاح تعميرا"[3]

فالإبراهيمي على الرغم من اعتماده السرد إلا أنّنا نلحظ استفادته منها من الناحية الزمنية ،جعله يطوي أحاديثه في جمل قصيرة اختصارا للإنشاء والبناء والتركيب الذي يتطلّب الجمل الطويلة ،فتركيب الجملة عنده في هذا السياق لا يتجاوز فعل وفاعل ومفعول به ،هذه هي المهارة الأدبية التي تظهر فيها على مقدرته على الارتجال ،وعلى اقتناء العبارة واستيعابه للثقافة والبلاغة العربية ،كما يظهر استخدامه للسجع بقصد أو بغير قصد ،لكن هدفه من ذلك في كلا الحالتين هو اللّذة الفنية ،ومما ندركه كذلك من فاتحة خطبه تعلقه بالصور البيانية واحتفاله بالألفاظ القوية الجزلة ،وتمكنه من استيعاب شوارد المفردات[4]

[1] محمد عباس ،البشير الإبراهيمي أديبا ،ص 179.

[2] المرجع نفسه ،ص198.

[3] عبد الحميد بن باديس ،مجلة الشهاب ،م14 ،ج4 ،س1357هـ/1938م،ص277.

[4] عبد الله الركيبي ،تطور النثر الجزائري الحديث 1830/1974م،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،ط1 ،س ط1983م ،ص29 33.

ومما يلاحظ كذلك هو ظاهرة التكرار في المعاني وربما السبب من وراء ذلك محاولته التركيز على ما يريده لكن كان يحسن توظيفه كلما واتته الفرصة،واعتماده الموضوعية ،محاولا بذلك إيصال الأفكار والتحكم في معانيها التي تتناسب والموقف مما جعله يلجأ إلى أسلوب الاسترسال.[1]

فالإبراهيمي كان في خطبه الأدبية حين يتعلق الحديث بأديب أو شاعر فإنه يعطي لكل حق حقه ،إضافة إلى ذلك كانت للمناسبة التي يلقي فيها خطبه قيمتها الأدبية والعلمية ناهيك عن القيمة المعرفية

[1] محمد عباس: البشير الإبراهيمي أديبا ،ص200.

ثالثا:الخطبة السياسية

هي مظهر من مظاهر حرية الأمة واستقلالها ،فكلما كانت أوفر حرية ،وأعمق استقلالا ،انطلق لسانه يعبر عن مكنون الضمائر ،والمشاعر ،وكان الخطيب حادي الأمة عن طريق الإصلاح ،مقوّما معوجّها ومصلحا ما فسد من أمورها، تلك هي مهمة الأدب تحريك الأمة للعمل على حداء الأمل[1].

وهي نوع من الخطابة وعادة ما تكون خطبا وطنية أو حزبية أو خطبا برلمانية ،أو إدارية وأكثر ما تكون ارتجالا في الأمم الحرة المستقلة التي لا يعقل ألسنتها سلطان غالب.[2]

في حين في العصر الحديث تعريفا آخر للدكتور عماد عبد اللطيف في كتابه الخطابة السياسية بأنها :"كلام شفاهي يلقيه الساسة أمام الجمهور، ويتناولون فيه أمور الحكم وقضاياه "مشيرا كذلك إلى أنّه :"وسيلة من وسائل التواصل بين النخب السياسية والشعب ،وإلى النخب السياسية فيما بينها فضلت الأداة المثلى للتأثير في الجماهير وحشدهم"[3].فمن خلال هذه المفاهيم كله ربما أمكننا القول أنّ هذه المفاهيم كلها توضح لنا أنّ هذا النوع من الخطب يكون غرض الخطيب منها، هو إبداء رأيه في موقف من المواقف، والقضايا المتعلقة بقبيلته أو دولته.

فالخطبة السياسية عرفت مند القدم حتى عند العرب إذ مارسوها باختلاف أنواعها لكن بعد اجتياح الاستعمار الغربي للعالم العربي، ونشأة الأحزاب السياسية تأجّجت وتحررت من الأسلوب المسجوع البديعي ،وتناولت موضوعات السياسة والاستعمار.[4]

وبما أنّ الخطابة لقيت العناية من الأدباء إلّا أنّ هذا النوع حظي بالعناية الزائدة نظيرا بغيره من أنواع الخطابة

[1] محمود محمد عمارة ،الخطابة بين النظرية والتطبيق ،مكتبة الإيمان بالمنصورة ،ط1 ،س ط 1418هـ /1997م ،ص243 244.

[2] محمد الفاسي عمر الدسوقي محمد صادق عفيفي ،الأدب والنصوص للسنة الرابعة ثانوية ،مكتبة الوحدة العربية ،د ط ،د س ،ج4 ،ص102.

[3] عماد عبد اللطيف ،تجليات "الخطبة السياسية في العصر الحديث" ،جريدة الصباح الجديد ،القاهرة ،22 ماي 2015م .

[4] إبراهيم بن حسن الدريعي ،أ.أحمد بن سليمان المشعلي أ.حمود بن عبد الله السلامة ،الأدب العربي للصف الثالث الثانوي ،وزارة التربية والتعليم ،الرياض ،ط3 ،س ط 2011/2010م ،ص64.

بسبب حاجة الأمة إليها ،حيث اهتموا بوضع خصائص لها منها: اختيار الألفاظ والتعابير المعبرة عن موقف سياسي ،أو وصف سياسي لحالة من الحالات أو لشخص من الأشخاص إذ هذه الألفاظ تعبر عن معانيها دون لبس أو غموض ،الإيجاز حيث يلاحظ في هذه الخطب أنها أقصر من الخطب الدينية أو الفكرية ، الاكتفاء بالإشارة واللمحة السريعة وعدم الاستفاضة في الألفاظ والعبارات والأمثلة والتي يستخدمها الخطباء في الأمور الخطابية الأخرى عادة.

الاستعداد بالكلمات والآيات القرآنية إذ هذه الخاصية نجدها في خطب المسلمين كونهم متشبعين بالثقافة الإسلامية والدين الحنيف ،مخاطبة العقل و العاطفة .[1]

فإذا ذهبنا للحديث عن الخطبة السياسية في الجزائر نجدها عرفت في فترة حاولت التخلص من قيود المستعمر إذ حظيت بالعناية من أعضاء جمعية العلماء المسلمين ومن بينهم البشير الإبراهيمي قد أبدع في هذا النوع محاولا التركيز فيها على توفرها بين معالم الجمع بين رزانة الأفكار وجمال الأسلوب والأداء.

أما الألفاظ فكان يحاول اختياره بعناية، إذ كان له معجم مفردات خاص بالمجال السياسي منها :"**الديمقراطية ،الدكتاتورية ،اللائكية ،الساندیكا**".

إذ نجد لفظة الديمقراطية تكررت كثيرا عنده وأخذت دلالات مختلفة عن مفهومها القاموسي ؛فمفهوم الديمقراطية القاموسي هو سلطة الشعب ،وتتميز بعدد من المبادئ، كالاعتراف بالشعب كمصدر للسلطة وبحقوق المواطنين وحرياتهم ومساواتهم.والدولة التي تحترم هذه المبادئ تعد دولة ديمقراطية...[2]

ولكن من مفهوم الديمقراطية عند الإبراهيمي مناقض لمعناه القاموسي الثابت ،فهو عنده يحمل مفهوما مرتبطا بالسياسة الاجتماعية والواقع المعيش،ثم يذهب إلى مفهوما آخر لها عندما يرى الديمقراطية في الممارسة الاستعمارية وهي الديمقراطية الصناعية الّتي أصبحت تقابل الديمقراطية الطبيعية في علاقة تضاد .فالديمقراطية الطبيعية عنده تعني السماحة والمساواة والعدل ،لا تختلف عن جوهر الإسلام ،وقد سماها أيضا الديمقراطية

[1] حسن الأسدي ،من بلاغة الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة ، عادلwww.albalaghah.net.

[2] عبد الله بو خلخال ،العلاقة بين اللفظ والمعنى بين المفهوم المعجمي والاستعمال عند البشير الإبراهيمي من خلال عيون البصائر .

العمرية ،وهي ذات قيمة دلالية ثابتة في المكان والزمان ،أما الديمقراطية الصناعية فهي التي تسعى فرنسا إلى تطبيقها في الجزائر وهي ذات قيمة دلالية متغيرة ،وفي نص آخر تحوّل مفهومها عنده إلى المعنى المضاد أي المرادف للدكتاتورية التي وردت عنده بكثرة أيضا.

إذ قارن لفظة الديمقراطية مع لفظ الديكتاتورية في مقال له في نسق تجاور وترادف بصريح العبارة ،كما قارن اللائكية بالمسيحية للغرض نفسه قال"كأني بهذه الحكومة اللائكية المسيحية –معا–الديمقراطية الدكتاتورية معا"إذ هذا التركيب لا يعد طباقا عند الابراهيمي بل هو ترادف وتوكيد لفظي فالحكومة الفرنسية لائكية ولكن حكامها في الجزائر رهبان.

أما لفظة الساندكية الّتي تجمع مكون أصلا للدفاع عن المصالح المشتركة لأعضاء هذا التجمع ،لكن معناه في الجزائر في الفترة الاستعمارية أصبح مرتبطا برجال جمعية الدين كانوا ليس للدفاع عن أصحابها ،أما الإبراهيمي لم يستعمل مصطلح "النقابة"مثلا وإنما استعمل (ساندكية رجال الدين) حتى يجمل السامع أو القارئ من هذا الاستعمال الوارد في غير محله.

فالإبراهيمي يعمد إلى استخدام هذه المصطلحات ويعمد إلى مخالفة دلالتها المعجمية ويضفي عليها دلالات مرتبطة بالتداول والاستعمال الاجتماعيين ما يؤكد صلته الشديدة بواقع مجتمعه السياسي والاجتماعي.[1]

هذا كله يؤكد لنا حسن اختيار الإبراهيمي لألفاظه واقتنائها ووضعها،إضافة إلى هذه الخاصية نجد خصائص أخرى في خطبه مثل الخطبة التي ارتجلها بين يدي وفود الدولة العربية والإسلامية في الأمم المتحدة يبتدئها بقوله :"حضرات أصحاب المعالي الوزراء ،حضرات أصحاب السعادة والعزة ،حضرات الزملاء حملة الأقلام ،حضرات الإخوان ،هذه ليلة ارتفعت فيها الكلف ،وغاب عنها العواذل ،وغفل عنها الرقباء إن شاء الله..."[2]

إذ تبين بعد هذه المقدمة الطويلة أنها تختلف عن مقدمة الخطبة الدينية فهي مقدمة تشبه مقدمة المقال الأدبي ،فانطلق فيها من النطاق المكاني والزماني إذ حاول التعريف بالليلة وهي تمثل المناسبة للحدث أو للموضوع

[1] عبد الله بوخلخال ،العلاقة بين اللفظ والمعنى بين المفهوم المعجمي والاستعمال عند الإبراهيمي من خلال عيون البصائر.

[2] آثار محمد البشير الإبراهيمي ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،د ط ،س 1987م ،ص379.

مركزا على العنصر الحي الذي يخدم موضوع الخطبة واللقاء الذي جمع الشمل من كل حدب وصوب وهو "الأخوة"متخدا منها العقدة الوثيقة التي تتدلى منها خيوط الأفكار الكلية والجزئية محققا بذلك أدلة تقوم عليها خطبته من جهات ثلاث، وهي مما يتّصل بالخطيب ،وباستعداد السامعين ،وبالخطبة نفسها.[1]

إضافة إلى قدرته على توليد الأفكار وازدهار المعاني وتسلسلها ،وارتباط بعضها ببعض ارتباطا محكما لا يشعر السامع معه بانقطاع في السياق أو انتقال في الفكر ،[2]محسنا بذلك التّسلّل من فكرة إلى فكرة أخرى.

فتتبع هذه الخطبة يجعلنا ندرك مدى تحكمه في اللهجة الخطابية، والتطور الذي يحدثه الانفعال في لهجة الخطيب ،والتدرج من المنحى الفكري إلى منحى اجتماعي ،إلى منحي سياسي ،ففي جزء من هذه الخطبة وما يلحقه من هجوم سياسي عنيف يصبُّ فيه الإبراهيمي غضبه ناقما منتقدا .جاعلا إياها تطغى عليها النزعة السياسية كما تطغى عليها العلمية الالتزامية.[3]

وتوظيفه للحجج والبراهين على الواقع بما فيه من أحداث ،فإنّ خطبته هذه أو غيرها لا تخلو من تصوير أدبي

رائع، تمتزج فيه الحقيقة بالخيال في مثل قوله عن منظمة الأمم المتحدة :"هذه المنظمة التي سُمّيتْ بغير اسمها ،وحُليت بغير صفتها وما هي إلّا مجمع يقود أقوياؤه ضعفاءه ،ويسوق أغنياؤه فقراءَه ،وما هي إلا أسواق تشترى فيه الأصوات بأغلى ما كانت تشترى به أصوات الغريض ..." إلى جانب التكرار الذي طغى على هذه الخطبة وغيرها.[4]

فعلى الرغم من أنّ الخطبة سياسية محضة إلّا أنّه يُضفي عليها جانب الإصلاح، وهو طابع ديني ،حيث نجد خطبه تكتسي طابع الوعظ و الإرشاد ،كما نجد أنّه التزم بخاصية الإيجاز التي تعد خاصية أساسية في الخطبة السياسية.

[1] محمد عباس ،البشير الإبراهيمي أديبا ،ص190 191.
[2] محمد مهداوي ،البشير الإبراهيمي واللغة العربية ،رسالة ماجستير ،كلية الشعب ،جامعة بغداد ،س1983م ،ص124.
[3] محمد عباس ،البشير الإبراهيمي أديبا ،ص194-195.
[4] محمد مهداوي ،البشير الإبراهيمي واللغة العربية ،ص127.

فالخطابة عند الإبراهيمي على اختلاف أنواعها فلا تخرج عن الإطار العام الذي تصب فيها كتاباته كلها ،وهذا الإطار هو العروبة والإسلام والجزائر ،وهو المحور الذي دارت حوله أعمال جمعية العلماء واتخذت منه شعارا لها (الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا).

ولا تخلو الخطابة من اقتباس أو تضمين ،هذه الظاهرة متفشية بكثرة في كتابات الشيخ كلها ،كما أنّ خطبه تخلو من الألفاظ العامية والأجنبية، فبهذا كله كان الإبراهيمي قد عمل على إحياء هذا الفن العربي الأصيل في أدب العرب، فأعاد له قوَّته ورونقه ،في وقت كانت فيه العربية في الجزائر تُحتضَر بفعل محاربة الاستعمار لها ومنعها من الاستعمال ،وقد عالج فيها موضوعات عصره ،فأضفى عليها قيما إنسانية هادفة كالحفاظ على العزة العربية والذود عن الوطن ،والغيرة عن العقيدة واللغة ،مما جعل هذه الخطب تحتفظ بالتراث العربي الخالد ولا تسقط إلى مستوى الوثائق التاريخية.[1]

[1] المرجع نفسه ،ص131 132.

الفصل الثالث: خصائص خطبه الفنيّة

أوّلا:الأسلوب والأداء

ثانيا:اللّغة

تحليل نموذج من خطبه

إنّ الخصائص الفنية لا يخلو منها أيُّ لون من ألوان الدرس الأدبي الحديث، لما تحمله من تعبير عن القيم الّتي تعبر عنها عملية الإبداع الفني، وبخاصة الخطابة باعتبارها عملا من الأعمال الأدبية، التي كانت و لا تزال سلاح المجتمع ،ومن هذه الخصائص التي تدعو إلى الانتباه مايلي:

أولا: الأسلوب والأداء

فهما يعتبران الركنين الأساسين لأيّ خطبة ،و من خلالهما يحكم السامع أو القارئ على قيمتها ،فالأسلوب يتغير من خطبة إلى أخرى، وذلك تبعا لصاحبها ؛فالعلماء و الأدباء اهتموا بالأسلوب مند القدم فعرفوه ووضعوا له ضوابطه ،ومن بينهم ابن طَبَاطَبَا يعرفه على أنه :"ليس المعنى وحده واللفظ وحده ،وإنّما هو مركب فني من عناصر مختلفة يستمدها الفنان من ذهنه ومن نفسه وذوقه، تلك العناصر هي الأفكار والصور ،والعواطف ثم الألفاظ المركبة والمحسنات المختلفة "[1]

هذا يوضح لنا أنّ الأسلوب في أيّ نص هو الأساس لنسج بنيته،عبر جميع مستوياتها كما يعدّ أساسا في تشكيل الخطبة من حيث انتقاء المفردات ،واستخدام المحسنات البديعية ..

أما عبد القاهر الجرجاني فيذهب إلى القول :"أنّ الأسلوب ضربٌ من النظم والطريقة فيه، فيعمد شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب، فيجيء به في شعره ،فيشبه من يقطع من أديم نعلا على مثل نعل قطعها صاحبها "[2]

فالإبراهيمي استطاع أن يكسب خطبه هذه الخاصية، وأحسن كيفية توظيفها فجعل خطبه ذات أسلوب يجمع بين معظم الشروط الّتي ينبغي توفره في الأسلوب ،فإكساب خطبه هذا الأسلوب الراقي لم يكن من عدم، وإنّما تأتى له بفضل إلمامه الشامل بآي القرآن الكريم، الذي يعدُّ السّند المرجعيّ لخطبه، ومنه استوحى سمو البيان وعبقرية الإعجاز ،ناهيك عن إحاطته الوافية بقواعد اللسان العربي، من نحو وصرف ،هذا ما أتاح له حسن التحكم في الفعل ،وتفاعيله العربية ،لأنّ هذا التحكم سيسهِّل بلا شكّ نمطية البِنَوِية اللغوية الفريدة ،الّتي غالبا ما يلجأ إليها بتعمقه الدقيق، في محيطه التراثي العربي عموما، والجزائري منه بصفة أخص وذلك باقتنائه عيّنات

[1] طباطبا ،عيار الشعر ،عباس عبد السائر ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،ط2 ،س ط 1426هـ/2005م ،ص14.ابن

[2] عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز ،ت:محمد رشيد رضا ،دار المعرفة بيروت لبنان ،د ط ،س1981م ،ص361.

من هذا المحيط و نماذج من الأمثال والحكم التراثية إلى جانب ثقافته الموسوعية التي جمعت بين الأدب والفلسفة والتاريخ العربي والأجنبي[1]

فالمتأمل كذلك لخطب الإبراهيمي يلاحظ مدى ذلك التناسق بين أجزاء كل خطبة من خطبه لأنّه كان ذا أسلوب عربي أصيل، يأخذ أصالته من التراث الأدبي القديم ،ويستكمل أدواته من عصوره المختلفة من لغة وبلاغة ، وتعبير من السبك والحبك والتحبير بكل ما تتطلّبه معاني الأصالة في الأسلوب،كما يحددها بعضهم بقولهم :"وملاك الأصالة ألّا تكتب كما يكتب النّاس ،وملاكها أن تكون أصيلا في نظرتك وكلمتك وفكرتك ولهجتك وصورتك .."،فأسلوب الإبراهيمي لا يكاد ينسلخ من هذه التحديات الأسلوبية ولا يخرج عن دائرة الأصالة ،وإن كان المراد بها في الأسلوب، هو بناؤه على ركنين أساسين من خصوصية اللفظ وطرافة العبارة.[2]

ملاحظتنا لخطب الإبراهيمي نجدها تمتاز بالخفة والأناقة والقوة والرصانة ،وفيه جزالة الألفاظ وقوتها ،وتناسق العبارات وتجانسها وتآلفها وكرم المعاني ،وعلوها وتألقها ،وأصالة اللغة وفصاحتها وفخامتها .[3]

فكل هذا كان بفضل حرصه على حسن اصطفاء الحروف كما يصطفي البناء الحجارة ،فتستوي عنده أمثلة من التناسق فيما بينها، وهذا ما جعل العلماء شرطا من شروط الفصاحة ،ناهيك عن اقتناء المفردات إذ كان له منهج في نسج روائعه، منتق إياها من قاموس الانتماء الثقافي ويطهرها من شوائب اللغو فهذا ما جعل التركيب عنده يستوي.[4]

فالإبراهيمي استقام له الأسلوب العربي القديم الّذي لا يحول قدمه بين الجودة والتوفيق ،بل الإبداع الفائق في بعض الأطوار ،ولهذا يذهب الكثيرون إلى أنّ أسلوب الإبراهيمي يُعدُّ أرقى أساليب اللّغة العربية في المغرب العربي.

[1] عبد الرزاق قسوم ،محمد البشير الإبراهيمي فيلسوف لفظ ومهندس معنى ،مجلة الموافقات ،العدد الرابع ،السنة الرابعة ،س1416هـ / 1995م ،ص207/406.

[2] محمد عباس,البشير الإبراهيمي أديبا,ص310.

[3] عبد المالك بو منجل,النثر الفني عند البشير الإبراهيمي بيت الحكمة,الجزائر,ط1,س2009,ص100.

[4] عبد الحفيظ بوردبم,روعة البيان في كتابات الإمام الإبراهيمي,مجلة الوعي فكرية ثقافية تصدر عن دار الوعي,العدد الثاني,س1432هـ/2010م,ص76/75.

أما الطابع الّذي انطبع به أسلوب الإبراهيمي هو الطابع العربي الإسلامي الخالص الذي يتكئ على التراث العربي الإسلامي في مختلف أطواره ،فلا نكاد نجد نصا من نصوصه يخلو من أثر الثقافة التراثية اقتباسا ،أو تضمينا ،فلا شك أنّ أسلوب الإبراهيمي قد أخد عن أسلوب عبد الحميد الكاتب (ق2هـ) وابن المقفع (ق2هـ) من حيث التقسيم المنطقي للعبارة ،والترادف ،كما أخد عن أسلوب الجاحظ (ق3هـ) في إسهابه أحيانا ،والتكرار حين اقتضاء الأمر منه ذلك..،فهي تعد جملة من أبرز السمات التي اختص بها أسلوب الإبراهيمي التي يستخدمها لتفصيل المجمل ،أو ترخيص فكرة أو للتأكيد على حقيقة جوهرية في موضوع ما أو التصوير و التشخيص.[1]

فالإبراهيمي أولى عناية كبيرة بالأسلوب فقد كان أمة وحده في نصاعة الأسلوب ،وشرف البيان ،فالإبراهيمي أحسن التوفيق بين الأصالة والمعاصرة فهو ينحو في انتاجه الأدبي منحى الأدباء القدامى في الأسلوب واللغة ،ومنهج معاصريه في المحتوى والمضمون.

هذا من حيث الأسلوب أما من ناحية الأداء فإنّ الإبراهيمي يولي هذا الجانب اهتماما كبيرا كونها الخاصية التي تعتبر شرطا أساسيا في الخطابة منذ القدم .فهي خاصية تبدو ماثلة في خطبه وذلك أثناء العرض الفني للأثر الأدبي وسط مناخ من التلاؤم في المعاني ،والتوازي في العبارات والانتقاء للمفردات في خطبه .

إذ نجد الإبراهيمي يصطنع أسلوبا شاعريا تتماوج فيه نغمة موسيقية قريبة من الشعر ،ومنسجمة مع النغمة الذاتية ،إذ ينتقي الإبراهيمي مفردة انتقاء، ثم يخضعها للنغمة التي يبتغيها كما يفعل في المفردات الآتية :"استشفينا ،استنشقنا ،استنشينا ،استورينا ،استمجدنا "فهو يحافظ على الإيقاع الموسيقي التي تحدثه المقاطع الصوتية المتساوية ،ويخرجه ملازما لطبيعة الانفعال و توهج العاطفة .[2]

فالخاصية البارزة في أدائه هي السجع ،فهو ممن عرفوا به وأصبح من ميزاته الواضحة، سواء كان عفو الخاطر وهذا كثير، أو كان مقصودا لذاته ،وإسرافه في السجع نجده كثيرا في المقالات ،فالإبراهيمي كان له طابع خاص

[1] محمد درق ،ملامح الإتجاه الإسلامي في أدب المقال عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،مذكرة ماجستير ،جامعة تلمسان ،س2010م/1431هـ،ص128.
[2] محمد عباس ،البشير الإبراهيمي أديبا ،ص312/311

في التعامل مع السجع خاصة والبلاغة عامة ،لأنّ له استعدادا خاصا به للسير بالبلاغة على طريقة ترضي القارئ ،و تستميل السامع، على نحو من الذكاء والموهبة في كيفية التنسيق بين الفكرة وبين العبارة، سواء أكان علمه هذا في النص النثري ،أم في المقطع الشعري.[1]

[1] محمد عباس البشير الإبراهيمي أديبا ،ص313/312.

ثانيا:اللغة

هي أداة للتواصل بين الناس ،إذ يعرفها ابن جني بقوله :"**هي أصواتٌ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم**"[1] وباعتبار اللّغة أداة للتواصل فإنّ لها علاقة وطيدة بالعمل الأدبي إذ هي بمثابة الروح للجسد ،وهي وسيلة الأديب للتعبير والإبداع، إذ يعتبرها محمد زكي العشماوي بالنسبة للأديب في كتابه :"هي موسيقاه وهي ألوانه وهي فكره وهي المادة الخام الذي سوَّى منه كائنا خلقه الشاعر أو القاص أو المسرحي من ذاته، كائنا ذا صوت يحمل صورة ،كما يحمل الحجر صورة نابضة لمثال بارع ،فكذلك اللّغة في يد الشاعر أو الكاتب قادرة على أن تحمل صورة نابضة حية ".[2] وكما اعتبرها هؤلاء و غيرهم أداة ضرورية بالنسبة للأديب في عمله الأدبي ،فإنّ الإبراهيمي كذلك كانت بالنسبة إليه أداة للتواصل بينه وبين القراء ،لذلك نجده يميل إلى الوضوح والسلامة ،واستخدام لكل موضوع لغة خاصة ،فلغة الخطب هي لغة المقالات .

فاللغة في أدب الإبراهيمي بصفة عامة وخطبه بصفة خاصة الخلية الحية لمقياس درجة العمق الذي يرتفع إليه أدبه وتلتقي عنده مفهوم اللغة مع مفهوم الأدب.[3]

فالتمعن في آثار الإبراهيمي ربما يجد نفسه أمام ألفاظ وتراكيب مستوحاة من العصر والبيئة والموضوع ،الشيء الذي يجعلنا نصنف لغته إلى تقسيمات ثلاثة هي:لغة التراث ،ولغة العصر، ولغة البيئة المحلية، إلّا أنّ اللّغة الغالبة على خطبه هي لغة التراث وهي موروثة من القرآن الكريم ،والحديث الشريف والشعر والنثر ،إذ نجده ينتقي عينات من الحكم التراثية. فمما امتازت به هذه اللغة السهولة والوضوح ،واختيار الألفاظ القوية الفخمة المعبرة عن شخصيته القوية واضعا إياها في أماكن يفسرها السياق حريصا على أن يكون في تعبيره ترابطٌ لفظي، وجرس صوتي، يقصد التأثير والجذّب و إبراز مكانة اللغة العربية و تفوقها على غيرها من اللغات في مجالات التعبير و التصوير والتأثير.[4]

---

[1] أبو الفتح عثمان بن جني,الخصائص,ت:محمد علي النجار,دار الهدى للطباعة و النشر ،بيروت ,ط2 ,ج1 ,ص33.

[2] محمد زكي العشماوي ،قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ،دار النهضة بيروت ،ط1 ،س ط1979م ،ص134.

[3] جابر أحمد عصفور،الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ،دار الثقافة للطباعة والنشر ،القاهرة ،د ط ،س1984م ،ص 390.

[4] عمورة ضاوي ،شهرزاد ،الخصائص النثرية الإصلاحية للشيخ البشير الإبراهيمي ،مذكرة ليسانس ،معهد اللغة العربية ،الجزائر ،س2010م ،ص52.

أما الخصائص التي اتسمت بها لغة الخطابة لدى أعضاء جمعية العلماء وبخاصة البشير الإبراهيمي:

السهولة والمباشرة :لأنّه ليس من خصوصية الخطيب إبراز براعته اللغوية بقدر ما كان كلّ همه توصيل آرائهم والوقوف على المقاصد مباشرة ،[1]إذ نجد البشير الإبراهيمي في خطبته التي ألقاها صبيحة اليوم الأول من أيام الاجتماع العام الخامس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذي عقد بنادي الترقي بالعاصمة الجزائرية في سبتمبر 1936 :"..**نجحت في دعايتها إلى العلم النافع الصحيح ،وفي دعايتها إلى الأخوة الإسلامية الحقيقية – وبأنّها انتصرت في حملتها على الخرافات والأوهام والدجل وانتصرت أو كادت في حربها للجمود والعوائد الضارة والتقاليد السخيفة –بأنّها أفلحت في تربية الأمة على عدم الخوف إلّا من الله والرهبة إلّا منه وأن تواصل فيه وتقاطع فيه وأن تبني حياتها على الأعمال و الأسباب ،وفي تربيتها على تقدير الكفايات وتقديم الأكفاء لشؤونها العامة وفي إرشادها إلى وجوه البذل المشروعة المعقولة بعد أن كانت تبذر أموالها فيما يضر ولا ينفع ،وفي تحبيب الدين وشعائر الدين إلى طوائف من الشباب المهمل و إشرابهم معنى العزة الإسلامية وكرامة النفس**".[2]

فمن هذه الفقرة نلاحظ مدى التحرر الظاهر من صفات الفخامة في الألفاظ ،والغرابة في الانتقاء،والصعوبة في النطق إلى إيثار لغة سهلة مباشرة ،والسبب ربما يعود انشغال الإبراهيمي وأعضاء جمعية العلماء المسلمين بالإصلاح،فهذا الظرف له لغته الخاصة تتّفق وسبيلهم ولذلك جاء خطابه يخاطب النفوس مباشرة ،فالإبراهيمي كان يريد من اللغة المتسمة بالسهولة والمباشرة البعيدة عن التعقيد إلى إلهاب المشاعر وإثارتها فيمن حوله من المتلقين قصد مواصلة السير و الانضمام إليهم.[3]

اللغة التقريرية الوصفية :

[1] عيسى بن ساعد مدور ،الخطابة في النثر الجزائري الحديث موضوعاتها وخصائصها ،رسالة دكتوراه ،جامعة الجزائر ،س2005/2004 ،ص 284.

[2] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ،دار الغرب الإسلامي ،الجزائر ،ط1 ،س ط 1997م ،ج1 ،ص286.

[3] عيسى بن ساعد مدور ،الخطابة في النثر الجزائري الحديث موضوعاتها وخصائصها ،ص285.

نجد هذه الخاصية كذلك اتسمت بها البعض الآخر من خطب الإبراهيمي حيث سما بلغته إلى مستوى رفيع وجعلها موحية بأحاسيسه إزاء ما يؤلمه من واقع المسلمين ،ومما تجدر الإشارة إليه هو حسن تعامله مع اللغة التقريري الوصفية يجعل المستمع إلى خطبه يتفاعل مع النص ويتأثر مع حال المسلمين في العالم.[1]

أما محمد عباس فيتجه اتجاها آخر يذهب فيه إلى تصنيف اللغة عند الإبراهيمي إلى ثلاثة مستويات:

أ/مستوى اللغة الشعري:

وهو يتمثل في شاعرية الأسلوب ،والشاعرية كما يسميها بعضهم تكون مشحونة بقدر من الذاتية التي تستند إلى الواقع وتنبع منه أو ذاتية التفتيش المتأمل في الوعي الباطني والكشف عن خبايا الانفعال .[2]

فكل نص من نصوص الإبراهيمي خاضع لموقف انفعالي ،وقيم شعورية معروفة المصدر ،فهناك ما ينمُّ عن مشاعر حزينة، وتأس شديد ،وتأس مُردٍ،فجاءت هذه اللغة معبرة بلفح الصدق،وبرسم الواقعية كما تحددها مناسبة النص ،ونفخ ذاتي يلحق نفسية الكاتب بالتعجب والحسرة ،وزيادة في تعميق الانفعال ،حتى أنّ الأديب بالتعبير الشعري وذلك بالاقتباس وغيره.[3]

ب/مستوى اللّغة الخطابي:

إنّ أكثر ما يغلب على أدب الإبراهيمي وخاصة خطبه النزعة الخطابية ،ولعلها تخضع لسبب موضوعي تفرضها طبيعة شخصية الإبراهيمي الأدبية ،وهو كونه رجل إصلاح بل رجل ثورة كما تحدده مواقفه ،ولاشك أنّ هذا الرجل لا يمكن له أن تتم له عملية الاتصال بالجماهير إلّا عن طريق الخطابة ،أو ما يماثلها كالمحاضرة والدرس ،ولعل هذا السبب المباشر الذي يقوم دليلا وضحا في المنحى الأدبي والكتابي للإبراهيمي في المستوى الخطابي للغة الّتي يرتكز عليها في غالب الأحيان في عمله الفني .

[1] عيسى بن ساعد مدور ،الخطابة في النثر الجزائري الحديث موضوعاتها وخصائصها ،ص294.
[2] محمد عباس ،البشير الإبراهيمي أديبا ،ص313.
[3] المرجع نفسه ،ص314.

ج/مستوى اللغة التقريري:

هناك علاقة وثيقة بين الأسلوب الخطابي والأسلوب التقريري ،لما فيهما من مباشرة ،وعرض وسرد ،وما فيهما من تقريرية للحقائق التي يقصدها الأديب ،ويريد توصيلها إلى القارئ ،أو المستمع بأمانة ،والإبراهيمي يميل أحيانا كثيرة إلى لغة ذات مستوى تقريري تتطلبها الغاية ويفرضها الموقف سواء أكان ذلك في الخطبة أم في المقالة بأنواعها.[1]

فالإبراهيمي في خطبه حاول الجمع بين مختلف خصائص الأسلوب و اللغة بمستوياتها لعرض الأفكار أو الفكرة التي يحاول إيصالها إلى المتلقي ،فكان مؤمن بفكرة "لكل مقال مقام" وكان يعطي لكل مقام حقه وما يلزمه.

ثالثا :تحليل نموذج من خطبه

1/الخطبة الأدبية:

كما أسلفنا الذكر أنّه تعددت خطب هذا النوع ،ومن بينها الخطبة التي أراد من خلالها إظهار الصفات التي يتمنى أن يتمثل فيها الشاب الجزائري بعنوان **"الشاب الجزائري كما تمثله لي الخواطر**

[1] البشير الإبراهيمي أديبا ،محمد عباس ،ص322.

يقول فيها :" أتمثله متساميا إلى معالي الحياة ،عربيد الشباب في طلبها ،طاغيا عن القيود العائقة دونها ،جامحا عن الأعنة الكابحة في ميدانها ،متّقد العزمات ،تكاد تحتدم جوانبه ،من ذكاء القلب وشهامة الفؤاد ونشاط الجوارح .

أتمثله مقدامًا على العظائم في غير تهوّرٍ،محجامًا عن الصغائر في غير جبن ،مقدرا موقع الرجل قبل الخطو ،جاعلا أوّل الفكر آخر العمل.

أتمثله واسع الوجود ،لا تقف أمامه الحدود ،يرى كلّ عربي أخًا له ،أخوة الدم ،وكلّ مسلم أخًا له أخوة الدين ،وكلّ بشر أخًا له ،أخوة الإنسانية ،ثمّ يعطي لكلّ أخوّة حقها فضلا أو عدلا.[1]

أتمثله حلف عمل ،لا حليف بطالة ،وحلس معمل ،لا حلس مقهى ،وبطل أعمال لا ماضغ أقوال ،ومرتاد حقيقة ،لا رائد خيال .

أتمثله برًّا بالبداوة الّتي أخرجت من أجداده أبطالا ،مزورًّا عن الحضارة التي (رمته بقشورها) ،فأرخت أعصابه ،وأنّثت شمائله ،وخنّثت طباعه ،وقيّدته بخيوط الوهم ،ومجّت في نبعه الطاهر السموم ،وأذهبت منه ما يذهب القفص من الأسد من بأس وصولة.

[1] محمد البشير الإبراهيمي ،عيون البصائر (آثار محمد البشير الإبراهيمي)،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،دط ، س1987م ،ص586.

أتمثله مقبلا على العلم والمعرفة ليعمل الخير والنفع ،إقبال النحل على الأزهار ،والثمار لتصنع الشهد والشمع ،مقبلا على الارتزاق ،إقبال النمل تجدُّ لتجد ،وتدّخر لتفتخر ،ولا تبالي مادامت دائبة ،أن ترجع مرةً منجِحةً ومرة خائبة.

أحبّ منه ما يحبُّ القائل :

أُحِبُّ الفَتَى يَفنَى الفَوَاحِشَ سمعُه كَأَنَّ بِهِ كُلَّ فاحشة وقْرَا

وأهوى منه ما يهوى المتنبي :

وأهوى من الفتيان كلّ سميذع أريبٍ كصدر السمهريّ المقوم

خطت تحته العيس الفلاة وخالطت به الخيل كبّات الخميس العرمرم

يا شباب الجزائر هكذا كونوا !...أولا تكونوا !...

أتمثله محمديَّ الشمائل،غير صخَّاب ولا عيَّاب ،ولا مُغتاب ولا سبّاب ،عفًّا عن مكارم الخُلقِ ومحارم الخالق ،مقصور اللّسان إلّا دعوة عن الحقّ ، أو صرخةٍ في وجه الباطل ،متجاوزا عما يكره من إخوانه ،لا تنطوي أنحاؤه على بغض ولا ضغينة .[1]

أتمثله متقلّبًا في الطاهرين والطاهرات ،ارتضع أفاويق الإصلاح صبيًّا ،وزُرِّت غلائله عليه يافعًا ،فنبتت في حجره ،ونبتت قوادمه في وكره ،ورفرفت أجنحتُهُ في جوِّه ، لم يمسسه زيغ العقيدة ،ولا غشيت عقلَه سحب الخرافات ،بل وجد المنهج واضحا فمشى على سوائه ،والأعلام منصوبةً ،فسار على هداها ،واللواء معقودًا ،فأوى إلى ظله ،والطريق معبّدًا ،فخطى آمنا من العثار ،فما بلغ مبلغ الرجال إلا وهو صحيح العقد في الدين ،متين الاتصال باللّه ،مملوء القلب بالخوف منه ،خاوي الجوانح من الخوف من المخلوق ،قويّ الإيمان بالحياة ،صحيح النظر في حقائقها، ثابت العزيمة في المزاحمة عليها ،ذلق اللسان في المطالبة بها ،ناهض الحجّة في الخصومة

[1] محمد البشير الإبراهيمي ،عيون البصائر (آثار محمد البشير الإبراهيمي) ،ص 587 /588 .

لأجلها ،يأبى أن يكون حظُّه منه الأخسَّ الأوكس ،أمن بعقله وفكره أن يضلَّل في الحياة كما أمن بهما أن يضلِّل في الدين .

« وفي الحياة كما في الدين تضليلٌ »

يا شباب الجزائر !

ما قيمة الشباب ؟وإن رقَّت أنداؤه ،وتجاوبت أصداؤه ،وقضيت أوطارُه،وغلا من بين أطوار العمر مقداره ،وتناغت على أفنان الأيّام واللّيالي أطيارهُ ،وتنفّست عن مثل روح الربيع أزهاره ،وطابت بين أنهاب اللذات واقتطاف المسرّات أصائله وأسحاره .

بل ما قيمة الكهولة ؟وإن استمسك بنيانها ،واعتدل ميزانها ،وفرت عن التجربة والمراس أسنانها ،ووضعت على قواعد الحكمة والأناة أركانها .

بل ما قيمة المشيب ؟و إن جلّله الوقار بملاءته ،وأطوار الاختبار في عباءته ،وامتلأت عن حكمة الدهور وغرائب العصور ،حقائبه ،ووصلت بخيوط الشمس لا بفتائل البرس ،جماته وذوائبه .

ما قيمة ذلك كله ؟ إذا لم تنفق دقائقه في تحصيل علم ،ونصر حقيقة ،ونشر لغة ،ونفعِ أمة ،وخدمة وطن .[1]

يا شباب الجزائر هكذا كونوا ...أو لا تكونوا.

أتمثله كالغصن المروج ،مطلولا بأنداء العروبة ،مخضوضر اللّحا والورق ممّا امتص منها ،أخضرَ الجلدة والآثار مما رَشح له من أنسابها وأحسابها ،كأنّما أنبتتها رمال الجزيرة,ولوّحته شمسها,و سقاه سلسالها العذب,وغذاه نبتها الزكى ,فيه مشابه من عدنان تقول إنه من سر هاشم أو سرة مخزوم ,و مخايل من قحطان تقول كأنه ذو سكن, في السكن ,أوذو رضاعة ,في قضاعة متقلّبا في المنجبين و المنجبات ,كأنما ولدته خندف , أو نهضت عنه أم

[1] محمد البشير الإبراهيمي ،عيون البصائر (آثار محمد البشير الإبراهيمي)،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،دط ، س1987م ،ص588 /589.

الكملة, أو حضنته أخت بنى سهم,أو حنكته ,تماضر الخنساء_لعوبا بأطراف الكلام المشقق, كأنما ولد في مكة , و استرضع في إياد ,وربا في مسلنطح البطاح.

أتمثله مجتمع الأشد على طرواة العود ,بعيد المستمر على ميعة الشباب,يحمل ما حمل من خير لأن يد الإسلام طبعته على الخير , ولا يحمل ما حمل من شر لأن طبيعة الإسلام تأبى عليه الشر_فتح عينيه على نور الدين ,فإذا الدنيا كلها في عينيه نيرة مشرقة,و فتح عقله على حقائق الدين ,فإذا الدين و الكون دالٌّ و مدلول عليه ,وإذا هو يفتح بدلالة ذاك مغالق هذا ,و فتح فكره على عظمة الكون فاهتدى بها إلى عظمة المكون , فإذا كل شيء في الكون جليل ,لأنه من أثر يد الله ,وإذا كل شيء فيه قليل,لأنه خاضع لحلال الله ,ومن هذه النقطة يبدأ سمو النفوس السامية و تعاليها ,وتهيؤها للسعادة في الكون,و السيادة على الكون.

أتمثله مجتلى للخلال العربية التي هي بواكير ثمار الفطرة في سلاستها وسلامتها,كأنما هو منحدر لانصبابها,و قرارة لانسكابها,و كأنما خيط على وفاء السموأل و حاجب,و أشرج على إيثار كعب وحاتم,وختم على حفاظ جساس والحارث,و أغلق على عزة عوف و عروة. [1]

أتمثله مترقرق البشر إذا حدث ,متهلل الأسرة إذا حدث , مقصور اللسان عن اللغو ,قصير الخطا عن المحارم, حتى إذا امتدت الأيدي إلى وطنه بالتخون ,و استطالت الألسنة على دينه بالزراية و التنقص ,و تهافتت الأفهام على تاريخه بالقلب و التزوير ,و تسابق الغرباء إلى كرائمه باللص و التدمير ,ثار وفار ,و جاء بالبرق و الرعد ,و العاصفة و الصاعقة ,و ملأ الدنيا فعالا ,و كان منه ما يكون من الليث إذا ديس عرينه ,أو وسم بالهون عرنينه.

أتمثله شديد الغيرة ,حديد الطيرة ,يغار لبنت جنسه أن تبور ,وهو يملك القدرة على إحصانها ويغار لماء شبابها أن يغور ،وهو يستطيع جعله فيّاضا بالقوة دافقًا بالحياة، ويغار على هواه وعواطفه أن تستأثر بها السلع الجليبة ،والسحن السليبة ،ويغار لعينيه أن تسترقّهما الوجوه المطراة ،والأجسام المعرّاة .

[1] محمد البشير الإبراهيمي ،عيون البصائر (آثار محمد البشير الإبراهيمي) ،ص 590 /591 /592.

يا شباب الجزائر هكذا كونوا !...أو لا تكونوا.

أتمثله حنيفا فيه بقايا الجاهلية ...يدّخرها لميقاتها ،ويوزّعها على أوقاتها يردّ بها الجاهلين ،في زمن تفتّقت علومه عن جاهليّة ثانية شرٍّ من الجاهلية الأولى _ وتمخّضت عقول أبنائه بوحشية مقتبسة من غرائز الدنيا للوحش اقتباسا علميّا ألبس الإنسان غير لبوسه ،ونقله من قيادة الحيوان إلى الانقياد للحيوانيّة _ وأسفرت مدنيّته عن جفاف في العقول ،وانتكاس في الأذواق ،وقوانينه عن نصر للرذيلة ،وانتهاك للحرمات ،وانتهت الحال بِبنِيه إلى وثنية جديدة في المال وعبادة غالبية للمال ،واستعباد لئيم بالمال .

أتمثله معتدل المزاج الخلقي ،بين الميوعة والجمود ،وبين النسك والفتك، تتّسع نفسه للعقيق ،وعمر وابن أبي عتيق فيصبو ،ولا يكبو؛كما تتسع للحرم وناسكيه فيصفو ،ولا يهفو ،وتهزّه مفاخرات الفرزدق في المربد ،كما تهزّه مواعظ الحسن في المعبد .

أتمثله كالدينار يرُوق منظرًا ،وكالسيف يروع مخبرًا ،وكالرمح أمدح ما يوصف به أن يقال ذابل ؛ولكن ذاك ذبول الاهتزاز ،وهذا ذبول الاعتزاز _وكالماء يمرؤ فيكون هناءً ويروى ،ويزعُق فيكون عناء يردى _ وكالرّاية بين الجيشين تتساقط حولها المهج وهي قائمة .

أتمثله عفَّ السرائر ،عفَّ الظواهر ،لو عرضت له الرذيلة في الماء ما شربه ،وآثر الموت ظمأ على أن يرد أكدارها ،ولو عرضت له في الهواء ما استنشقته ،وآثر الموت اختناقا على أن يتنسّم أقذارها.

أتمثله جديدا على الدنيا يرى من شرطها عليه أن يزيد فيها شيئًا جديدًا ،مستفادًا فيها يرى من الوفاء لها أن يكون ذلك الجديد مفيدًا.[1]

أتمثله مقدّمًا لدينه قبل وطنه ،ولوطنه قبل شخصه ،يرى الدين جوهرًا ،والوطن صدفًا ،وهو غوّاص عليهما ،يصطادهما معا ،ولكنه يعرف الفرق بين القيمتين .فإن أخطأ التقدير خسِر مرّتين.

[1] محمد البشير الإبراهيمي ،عيون البصائر (آثار محمد البشير الإبراهيمي)،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،دط ، س1987م ،ص592 /593.

أتمثّله واسع الآمال ،إلى حدّ الخيال ،ولكنّه يُزجيها بالأعمال ،إلى حدّ الكمال ،فإن شُغف بحب وطنه ، شَغَف المشرك بحب وثنه ،عذره النّاس في التخيل لإذكاء الحبّ ،ولم يعذر فيه لتغطية الحقيقة.

أتمثّله مصاولا لخصومه بالحِجاج والإقناع ،لا باللّجاج والإقذاع ،مرهبا لأعدائه بالأعمال ،لا بالأقوال.

أتمثله بانيا للوطنية على خمس ،كما بني الدين قبلها على خمس :السباب آفة الشباب ،واليأس مفسد للبأس ،والآمال لا تدرك بغير الأعمال ،والخيال أوله لذة وآخره خبال ،والأوطان لا تُخدم باتّباع خطوات الشيطان .[1]

ياشباب الجزائر ...هكذا كونوا ...أو لا تكونوا.

التحليل الأسلوبي البلاغي للخطبة :

في الخطبة هذه حاول الإبراهيمي يبرز طريقته في الكتابة ،التي استطاع أن يحي بها ،مع الاحتفاظ بشخصيته ،منتق أساليب اللّغة العربية في أزهى عصورها ،وأنقى فصاحتها ،وأفتن جمالها.

فقراءتنا لخطبته هذه نقتنع أنّ الإبراهيمي كان ممن تسيطر عليهم النزعة الدينية الروحية ،حتى أنّه كان يرى للشبان الجزائريين أن يقدموا الدين على الوطن، ربما لأنّه كان رئيسا لجمعية ذات أهداف دينية بالرغم من كل شيء ،وكان موقنا بأنّ الشباب المتدين بالإسلام ،المتشبع بمبادئه ،لابد من أن يدفعه الإيمان القوي إلى محاربة الاستعمار، الذي كان يمانع كثيرا في إقامة الشعائر الدينية بمنتهى الحرية .[2] وهذا النزعة الدينية التي هي بارزة في خطبه، تتضح من خلال الأسلوب التي صاغ بها هذه الخطبة، وهو الأسلوب العربي المتين المتشبع بلغة القرآن.

كما يعتبر النص من الأدب الاجتماعي الهادف الّذي يرمي إلى تكوين المجتمعات السليمة عن طريق تهذيب الشباب وتربية نفوسهم ،وتزويدهم بالنصائح والمبادئ الحميدة .

كما يعد اختياره لهذا الموضوع يعدل على صدق الكاتب وأصالته ،فقد كان مربيا مخلصا، ومصلحا أمينا، يدرك أثر التربية في بناء الشعوب ،ويدرك قيمتها في تحقيق الحرية والاستقلال .

[1] محمد البشير الإبراهيمي ،عيون البصائر (آثار محمد البشير الإبراهيمي) ،ص 594.

[2] عبد الملك مرتاض ،نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925 _1954م،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،ط2 ،س ط 1983م ،ص146.

فالنص عبارة عن مجموعة من الخواطر تدعو الشباب إلى التمسك بالقيم العالية .وليس هناك ترتيب بين هذه الخواطر حيث يمكن تقديم أي فكرة على الأخرى دون خلل في المعنى أو فساد فيه ،ولكنها أفكار متجانسة فيما بينها، تسير في خط واحد، وتهدف إلى تحقيق غاية واحدة، وهي بناء الشاب الجزائري بناء قويا متينا .

وأفكار النص واضحة ،تدل على عمق وعي الكاتب بالحياة، وتقديره المسؤولية الملقاة على عاتقه، كرائد يبني دعائم أمة ويعيد للشعب الجزائري شخصيته العربية المسلمة .كما تعكس خبراته الطويلة التي استفادتها من أسفاره ودراساته وكفاحه في مختلف الميادين .

إضافة لذلك احتواء النص على قيم إنسانية عظيمة ،تتمثّل في دعوة الشباب إلى الالتزام ،فيتّزن في أداء واجباته نحو المجتمع الجزائري الصغير ،ومجتمعه الإسلامي العربي الكبير ،ومجتمعه الإنساني الأكبر .ناهيك عن القيم الاجتماعية، المتمثلة في الدعوة إلى العمل وتمجيده ،ومحاربة البطالة والتنفير من آثارها ،و اتّخاذ العلم سلاحا في الحياة من أجل التّقدّم والنهوض .

إضافة إلى إلحاحه على المبادئ التي نادى بها ،وكررها وهذا الإلحاح يدل على صدق الكاتب وإخلاصه ودعوته. [1]

هذا ربما هو المعنى الذي أراده البشير الإبراهيمي من خطبته هذه، فوضعها في هذا القالب و هذا الأسلوب المتميز.

وهذا الأسلوب الراقي نتج عن حسن اصطفائه للحروف إذ جعل القدماء للحروف شروطا في فصاحتها ،وهي أن تخلو من التنافر .

فالإبراهيمي أحسن التنسيق فيما بينها فلا نكاد نعثر في خطبته هذه أو غيرها على مثل "مستنشزرات" ،أو على مثل شجر "العهخع أو العهعخان" كل الحروف عنده منحوتة من الفصاحة العالية حين يجاور بعضها

[1] أحمد سيّد محمّد ،المختار في الأدب والنصوص والنقد والتراجم الأدبية ،المعهد التربوي الوطني ،الجزائر ،د ط ،د ت ، ص267.

بعضا كأنها حبات العناقيد الصافية[1].فمثلا في الخطبة قوله :**"أتمثله برا بالبداوة التي أخرجت من أجداده أبطالا ،مزورّا عن الحضارة التي رمته بقشورها ،فأرخت أعصابه ،وأنّثت شمائله ،وخنّثت طباعه ،وقيدته بخيوط الوهم ،ومجّت في نبعه الطاهر السموم ،وأذهبت منه ما يذهب القفص من الأسد من بأس وصولة "**[2]

فحروف هذا المقطع من الخطبة وغيرها من المقاطع تنطلق عن مكنونها قبل أن تستوي الألفاظ كاملة .فإن اجتماع حرف الباء في التمثل الأول يصنع من شدتها وجهرها معنى ثابتا من معاني البداوة التي يريدها الإبراهيمي أن تزين أخلاق الشباب الجزائري فهذا الحرف مثلا زين كلمات منها :"برا _ البداوة _ أبطالا" كأنّ اصطفاءَه لحرف الباء كان مقصودا، لتنسجم خصائص الشدة والانفجار فيها، مع معاني البطولة التي رأى البداوة معلقها .

وتتبع الكلمة هذه نجد لها فضلا، فهي مسرح للشعر العربي كله ،ومجال تربية أبناء العرب ،فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم نشأ في بادية بني سعد ،والمتنبي في بادية السماوة ،والأمير عبد القادر فاخر الفرنسيين بفضلها ،وما من عيب فيها إلا المروءة والإقدام والبدر .[3]

ثم بالثاء الشين تغلبان على مظاهر الحضارة .والحضارة من شأنها أن تذهب بعزم البداوة حين تجمع الرجولة والتخنيث ،ومن خصائص الشين والثاء الهمس والرخاوة ،وكأنّها شاهدان على انفراط عقد الرجولة كالأسد الذي يذهب القفص بأسه ،وإن كان البعض من الناس قد جادل البشير في أمر الحضارة ومنافعها ،لكنها عند الإبراهيمي مخصوصة الاستعمال ،محدودة الوضع .

فالحضارة التي رمي بقشورها ليست تلبيسا يضع الألفاظ لغير مسمياتها ،وما هي في حقيقتها إلّا التعسف الفرنسي والاستكبار الصليبي .وإذ استوى هذا الفهم، صارت البداوة هي عزة الانتساب إلى أرض الرسالات .

[1] روعة البيان في كتابات الإمام الإبراهيمي ،عبد الحفيظ بوردم (جامعة تلمسان) ،مجلة الوعي ، دار الوعي ،العدد الثاني ،س محرم 1432هـ /ديسمبر2010م،ص75

[2] محمد البشير الإبراهيمي ،عيون البصائر (آثار محمد البشير الإبراهيمي)،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،دط ، س1987م ،ص586.

[3] روعة البيان في كتابات الإمام الإبراهيمي ،عبد الحفيظ بوردم (جامعة تلمسان) ،مجلة الوعي ، دار الوعي ،العدد الثاني ،س محرم 1432هـ /ديسمبر2010م،ص 75

كأنّ الجهر الذي في الباء هو جهر بانتساب الجزائر إلى الإسلام والعروبة ،وكأنّ الرخاوة الّتي في الثاء هي ارتخاء واستسلام لإغواء الفرنسي .[1]

هذا مثال من الخطبة وبعض إيحاءات بعض الحروف التي استخدمها الإبراهيمي في نسج خطبته.

وأسلوبه في هذا النص هو امتداد لمدرسة الصنعة التي تهتم بانتقاء الألفاظ وتجويد العبارات وتزيينها بمختلف الألوان البديعية .

ومن هذه الألوان ظاهرة الاقتباس والاستشهاد التي تبدو ظاهرة ومن ذلك قوله :

"مقدرا موضع الرجل قبل الخطو " فهو اقتباس من قول الشاعر :" قدم لرجلك قبل الخطو موضعها ".

وكذلك استشهاده بأبيات المتنبي و غيره من الشعراء ،[2] ومن الأبيات التي أوردها الكاتب للمتنبي هي :

وَ أَهْوَى مِنَ الفِتْيَانِ كُلَّ سَمَيْدَعٍ أَرِيبٍ كَصَدْرِ السَّمْهَرِي المُقَوَّمِ

خَطَتْ تَحْتَهُ العِيسُ الفَلَاة وخالَطَتْ به الخَيْلُ كبَّاتِ الخَمِيسِ العَرَمْرَمِ

وربما يدخل هذا في باب التضمين كذلك ،ومن الاقتباسات كذلك التي نجدها في نص الخطبة هذه قوله :

"وفي الحياة كما في الدين تضليل" .

أضف إلى ذلك وضوح عبارات الكاتب وإن كان في بعضها شيء من الغموض مثل قوله :"جاعلا أول الفكر آخر العمل "فهو يريد بهذه العبارة تسليط الفكرة على العمل، حتى لا يقع الشباب في الاندفاع والتهور .[3]

أما الأساليب فقد تنوعت بين الخبر والإنشاء ،لكن الأسلوب الغالب هو الأسلوب الخبري ،أما الأسلوب الإنشائي فلا نجده إلّا في بعضٍ من أجزاء الخطبة والمتمثل في النداء وذلك في مثل قوله :

---

[1] روعة البيان في كتابات الإمام الإبراهيمي ،عبد الحفيظ بورديم (جامعة تلمسان) ،مجلة الوعي ،ص76.

[2] أحمد سيّد محمّد ،المختار في الأدب والنصوص والنقد والتراجم الأدبية ،المعهد التربوي الوطني ،الجزائر ،د ط ،د س ،ص 268.

[3] أحمد سيّد محمّد ،المختار في الأدب والنصوص والنقد والتراجم الأدبية ،ص268.

"يا شباب الجزائر هكذا كونوا !...أو لا تكونوا ! "والغرض من هذا النداء هو الدلالة على التنبيه ،وفيها أمر يشير إلى التهديد والإنذار ،وبوحي بحرص الكاتب على تمثل الشباب لدعوته وتمسكه بنصائحه.

وكذلك استخدام الأسلوب الخبري الذي يدل على تفاؤل الكاتب وثقته المطلقة في مستقبل شباب وطنه ،وحرصه على العمل بما نادى به.[1]

كذلك نجد الأسلوب الإنشائي المتمثل في الاستفهام مثل قوله :"ما قيمة الشباب ؟وإن رقّت أنداؤُه ،وتجاوبت أصداؤه ..." .

وكذلك قوله :"بل ما قيمة الكهولة ؟وإن استمسك بنيانها ،واعتدل ميزنها ..."

"بل ما قيمة المشيب ؟وإن جلّله الوقار بملاءته ..."

"بل ما قيمة ذلك كله ؟...

ناهيك عن محاولة تنويع الإبراهيمي في خطبته، بين مختلف علوم البلاغة الثلاثة من المعاني والبيان والبديع ،فإذا اتجهنا نحو علم البديع، نجده استخدم مختلف الألوان البديعية في هذا النص، لتكون لوحة فنية رسمتها ريشة الإبراهيمي تكامل فيها الشكل والمضمون في العمل الفنيّ فقد أدّت الفنون الأدبية عند الإبراهيمي دورا في إبراز المعنى المقصود بألفاظ موحية جميلة ،استطاع من خلالها إبعاد الملل عن القارئ .[2] ومن هذه الألوان البديعية :

السجع:

[1] المصدر نفسه ،ص268.

[1] أحلام بالولي ،بلاغة اللغة في أدب المقال الإصلاحي عند محمد البشير الإبراهيمي _عيون البصائر نموذجا _،جامعة العقيد أكلي بالولي ،البويرة ،س ج2014/2013م ،ص147.

هذا اللّون الذي وظفه الإبراهيمي كمًّا ونوعا فلا نجد نصوصه تخلو منها :"**فالسجع الذي التزمه الكاتب فيها لم يقلل في شيء من روعتها وجمالها ،بل زادها ملحا وماء، وزخرفا وبهاءً ،لأنَّ السجع إذا جاء في الكتابة الفنية عفوا يكون تحلية للكلام وزينة للأدب** "[1]

ومن أمثلة السجع الوادة في نص الخطبة هذه الأقوال التالية :

"واسع الوجود ،لا تقف أمامه الحدود " ،" بطل عمل ،لا ماضغ أقوال "

" صخاب و لا عيّاب ،ولا مغتاب ولا سبّاب " ،

"فنبتت في حجره ،ونبتت قوادمه في وكره ،ورفرفت أجنحته في جوه "

"عفا عن محارم الخلق ومحارم الخالق ،مقصور اللّسان إلّا عن الدعوة عن الحق"

" إن رقّت أنداؤه ،وتجاوبت أصداؤه ،وقضيت أوطاره ،وغلا من بين أطوار العمر مقداره ،وتناغت على أفنان الأيام والليالي أطياره ،وتنفّست عن مثل روح الربيع أزهاره ،وطابت بين انتهاب اللذات و اقتطاف المسرات أصائله وأسحاره".

"كأنّما هو منحدر لانصبابها ،و قرارة لانسكابها".

" أتمثله شديد الغيرة ،حديد الطيرة "

"أتمثله كالدينار يروق منظرا ،وكالسيف يروع مخبرا " ،"أتمثله عفَّ السرائر ،عفَّ الظواهر "

" ولكنه يعرف الفرق بين القيمتين ،فإن أخطأ في التقدير خسر مرتين "

"أتمثله واسع الآمال ،إلى حد الخيال ،ولكنه يجزيها بالأعمال ،إلى حد الكمال "

"أتمثله مصاولا لخصومه بالحجاج والإقناع ، لا باللجاج والإقذاع "

[1] عبد الملك مرتاض ،فنون النثر الأدبي في الجزائر ،ص329

والطباق : هو محسن معنوي ،وهو الجمع بين معنيين متقابلين في كلام واحد.

وهو من الفنون البلاغية التي اهتم بها قديما وحديثا ،ولد ورد في كلام الله عز وجله وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم ،وشعر العرب ونثرهم ،ما يدل على قيمة هذا المحسن البديعي.ولقد اهتم الإبراهيمي كثيرا بنوعيه كونه يسهم في توضيح الفكرة المراد توصيلها ،فكثيرا ما تكون الكلمة الواردة في كلامه صعبة الفهم للقارئ يجعلها سهلة عند سماع نقيضها ،بالإضافة إلى تعزيز الفكرة ،ولو كانت واضحة بإعطاء الأضداد ،فضلا عن جمال العبارة و عذوبة الموسيقى التي ترن في الأذن.[1] وذلك وارد في قوله :

"جاعلا **أوّل** الفكر **آخر** العمل " ، " مرتاد **حقيقة** لا رائد **خيال** "[2]

" أتمثله معتدل المزاج الخلقي بين **الميوعة** و **الجمود** " ، "بين **النسك** و **الفتك** " ،"و الخيال **أوّله** لذة و**آخره** خيال " ،" فيصبو ولا يكبو " ، " أن ترجع مرة مجنحة ،ومرة خائبة "

أما **المقابلة** :وردت في الخطبته نجد ذلك في الأمثلة التالية بقوله :

" أتمثله مقداما على العظائم في غير تهور ،محجاما عن الصغائر في غير جبن "

"أتمثله حلف بطالة ،لا حليف بطالة " ، "حلس معمل ،لا حلس مقهى " ،" مرتاد حقيقة ،لا رائد خيال"

"مقصور اللسان إلا عن دعوة إلى الحق ،أو صرخة في وجه الباطل "

" مملوء القلب بالخوف منه ،خاوي الجوانح من الخوف من المخلوق "

"يحمل ما حمّل من خير لأنّ يد الإسلام طبعته على الخير ،ولا يحمل ما حمّل من شر لأنّ طبيعة الإسلام تأبى عليه الشر "

" يدخرها لميقاتها ،ويوزعها على أوقاتها "

[1] أحلام بالولي ،بلاغة اللغة في أدب المقال الإصلاحي عند محمد البشير الإبراهيمي _عيون البصائر نموذجا _، ص 164.

[2] أحمد سيّد محمّد ،المختار في الأدب والنصوص والنقد والتراجم الأدبية ،المعهد التربوي الوطني ،الجزائر ،د ط ،د س ،ص269.

الجناس :وهو أن تتشابه اللفظتان في الشكل الخارجي، وتختلفان في المعنى ،وإنّما يأتي الأديب بهما هكذا ليثير السامع مرتين؛ أولهما حين يوهم للوهلة الأولى أن المعنى فيهما واحد ،والثانية حين تنبيه قدرات السامع لمعرفة المعنى المراد من الكلمة الثانية .[1]

وهذا ما أراده عبد القاهر الجرجاني في كتابه :"**ورأَيت الآخر قد أعاد عليك اللفظة كأنّه يخدعك عن الفائدة ،وقد أعطاها ،ويوهمك أنّه لم يزدك ،وقد أحسن الزيادة وفرها ،ولهذه النكتة كان التجنيس وخصوصا المستوفى من حلى الشعر**"[2]

ومما أورده الإبراهيمي في هذه الخطبة من ناحية هذا اللون البديعي وزيّن بها خطبته من قوله:

مثلا في حديثه عن النحلة قوله "تجد لتجد "[3] فتجد الأولى دلالة على المثابرة في العمل ،وتجد من الفعل وجد أي بمعنى العثور على الشيء.

وقوله :"عفا عن محارم **الخلق** ومحارم **الخالق** "

"أو ذو **رضاعة** في **قُضاعة** " ، "وإن رقّت **أنداؤه** ،وتجاوبت **أصداؤه** "

"..وتهيؤها **للسعادة** في الكون ،و**السيادة** على الكون "

"أتمثّله متجلى للخلال العربية التي هي بواكير ثمار الفطرة في **سلاستها** و**سلامتها**"

"..وتسابق الغرباء إلى كرائمه باللّص والتدمير ،**ثار** و**فار** ،وجاء بالبرق والرعد و**العاصفة** و**الصاعقة** "

"أتمثله **شديد الغيرة** ،**حديد الطيرة** "

"ويغار لعينيه أن تسترقهما الوجوه **المطرّاة** ،والأجسام **المعرّاة** "

---

[1] محمد علي سلطاني ،المختار من علوم البلاغة والعروض ،دار العصماء ،دمشق ،سوريا ،ط1 ،س ط 1427هـ /2008م ،ص163.

[2] عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز ،ت :محمد رشيد رضا ،دار المعرفة ،بيروت ،لبنان ،د ط ،س ط1981م ،ص342.

[3] أحمد سيّد محمّد ،المختار في الأدب والنصوص والنقد والتراجم الأدبية ،ص269.

"أتمثله كالدينار **يروق** منظرا ،وكالسيف **يروع** مخبرا" ، "ولكن ذاك ذبول الاهتزاز ،وهذا ذبول الاعتزاز "

"وكالماء يمرؤ فيكون **هناءً يروى** ،ويزعق فيكون **عناء يردى**"

"أتمثله مصاولا لخصومه **بالحجاج والإقناع** ،لا **باللجاج والإقذاع** " ، "و**اليأس** مفسدا **للبأس** ".

فالجناس يكون تاما أو ناقصا ،فالنوع الأول من الجناس عادة ما يكون نادر الوقوع ،وهذا ما نجده في هذه الخطبة ،إلّا أنّ الإبراهيمي اعتمد كثيرا في نص خطبته هذه على الجناس الناقص ،واستخدم الجناس لتمتعه بكثير من القوة والإيحاء .

ونجده أثناء إيراده للكلمتين المتجانستين ننتقل من معنى إلى آخر ومن فكرة لأخرى.

كذلك قراءة نص خطبته يكشف لنا عوالم من الخيال المخبأة، وراء لغة قوية وسحرا وبيانا ،فنجد هذه الصور البيانية تتوالى في خطبته مشكلة قطعة أدبية متناسقة الأفكار والمعاني ،والإبراهيمي واحد ممن وصفوا فنون البيان الأربعة مما يدلّ على اطلاعه على أساليب البلاغة المختلفة [1].ومن بين الصور البيانية التي استخدمها الإبراهيمي في نصّه، هذا النص:

التشبيه :وهو فن يدل على دقة الكاتب في لمقارنة بين الأشياء ولأسبابها، فقد كان الإبراهيمي يصطنع تشبيهات رددتها الألسنة والأقلام القديمة في أدب العصور الغابرة ،وهذا لا يوحي بأنّه كان جامدا ليس باستطاعته الانسجام مع الحياة الجديدة فيستوحي منها تشبيهات ،ويستلهم منها عناصر أفكاره ،ولكنّه كان يعرف مثل هذا ويتجاهله ،لأنّ الأديب في نظره هو ذلك الذي يعود إلى الماضي البعيد يستنطقه.[2]

ومن التشبيهات الّتي أوردها قوله:"أتمثله مقبلا إقبال النحل "

[1] أحلام بالولي ،بلاغة اللغة في أدب المقال الإصلاحي عند محمد البشير الإبراهيمي _عيون البصائر نموذجا _،جامعة العقيد أكلي بالولي ،البويرة ،س ج2014/2013م ،ص170

[1]عبد الملك مرتاض ،نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925_1954م،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،ط 2،س ط 1983 ،ص 151/150.

تشبيه يدل على مواصلة الكفاح المنظم ،[1] وتشبيهه للشاب الجزائري بأن يكون كالدينار بأن يروق منظره ومخبره وذلك بقوله:"**أتمثله كالدينار يروق منظرا ،وكالسيف يروع مخبرا** "،فالمعاصرين على تباين ثقافاتهم يرون في هذا التشبيه نكتة بلاغية .فالإبراهيمي احد ممن كانوا يحنون إلى ذلك الزمن البعيد، حين كان الشعراء يشبهون فيه الوجه الجميل بالدينار ،وعيون الماء بالدينار أيضا ،والجامع بين لمشبه والمشبه به اللمعان والبريق .

وعلى أن الإبراهيمي شبه الشاب الجزائري بالسيف والرمح أيضا ،نجد الكثير من الشعراء القدامى استعملوا هذه الرموز في تشبيهاتهم .إضافة إل تشبيهه للشاب الجزائري بالغصن المروح المطاول بأنداء العروبة ،وتارة أخرى يشبهه بالأبناء الذي ولدتهم خندف_أي ليلى بنت حلوان .[2]

إضافة إلى تلك التشبيهات البليغة التي حاول من خلالها تصوير قوة تمرد الشباب على الصعاب وتحطيمهم للعقبات التي تقف في طريق وصولهم إلى المجد ،وقوله في ذلك:"**جامحا عن الأعنّة** "[3]

فمن أهداف هذه التشبيهات توضيح الصفة الغامضة ،أو تفصيل الصورة المجملة في المشبه ،فالكاتب لا يبلغ من أمره ما يريد حتى تكون صفة التشبيه في المشبه به أقوى وأوضح مما هي عليه في المشبه ،بحيث يلحق المشبه بالمشبه به في الصفة المطلوبة لإبرازها وإظهارها[4].

ومن بين تلك الصور البيانية التي وظفها الإبراهيمي في خطبته تلك الاستعارات الجميلة ،الّتي يمكننا إدراكه ومعرفة سرّ جمالها ومن بين هذه الاستعارات التي نجدها في خطبه قوله :"**متّقد العزمات** "

"**تحتدم جوانبه** " ،"**لا ماضغ أقوال** ".

إضافة إلى استخدامه لتلك الألفاظ الموحية في النّص من ذلك مثلا :"**عربيد**" وصفا للشباب المتطلع ،وهذه الكلمة مستخدمة أصلا في اللّغة للسكير الذي يدمن الشراب ،ولكن الكاتب استخدمها هنا للدلالة على

[1] أحمد سيّد محمّد ،المختار في الأدب والنصوص والنقد والتراجم الأدبية ،المعهد التربوي الوطني ،الجزائر ،د ط ،د س ،ص269.
[2] عبد الملك مرتاض ،نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925_1954م،ص151.
[3] أحمد سيّد محمّد ،المختار في الأدب والنصوص والنقد والتراجم الأدبية للسنة الثالثة ثانوي ،ص269.
[4] عبد الملك مرتاض ،نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925_1954م،ص152.

طلب الشباب للمعالي بحيويّة وقوة .ومن ذلك أيضا كلمة **"مقداما"** ،و كلمة **"محجاما"** وصفا للشباب بأسلوب المبالغة الذي يوحي بالزيادة في الحدث والإكثار منه.[1]

ففي الأخير نخلص إلى أنّ هذه الخطبة ذات شقين :شِقّ أدبي ،وشقّ تربوي ،فالجانب الأدبي واضح جدا في هذه الأحاديث من حيث التعبير الراقي ،ومن حيث التشبيهات المكتظة المتلاحقة الآخذ بعضها بزمام بعض .

والجانب التربوي واضح أيضا من حيث التوجيه المقصود الذي كان الإبراهيمي يستمدُّ أصوله من آداب الدين[2].

فبهذا الأساليب الراقية والألفاظ الموحية التي أحسن الإبراهيمي الربط بينها بفضل ثقافته ورصيده الفكري المتشبع بالدين إسلامي ،وبخصائص مدرسة الصنعة وأسلوب الأدباء القدامى .وهذا التحليل للخطبة جعلني أقف عند مختلف المحسنات البديعية الّتي وظفها أحسن توظيف ،و الصور البيانية التي وضح من خلالها المعاني فالإبراهيمي واحد ممن كانوا يحسنون التنسيق بين الجمل في الخطبة حتى وإن لم يحضر لها، أي أثناء ارتجالها له.

[1] أحمد سيّد محمّد ،المختار في الأدب والنصوص والنقد والتراجم الأدبية ،المعهد التربوي الوطني ،الجزائر ،د ط ،د س ،ص269.

[2] عبد الملك مرتاض ،نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925_1954م،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،ط 2،س ط 1983 ،ص153.

الخاتمة

الخاتمة:

وبحمد الله ونعمة منه وفضل ورحمة أضع القطرات الأخيرة بعد رحلة في هذا البحث خلصت فيها إلى النتائج التالية:

إنّ المصلح الأديب المفكر وإن صحّ القول المعلّم ،ذلك الشخصية الّذي فتح عينيه في بلد كان يئن تحت وطأة الاستعمار الاستيطاني ،يعدّ بحق من الأسماء الريادية في بلاد المغرب العربي .

وكذلك فإنّ الإبراهيمي كان من حسن حظه أنّه كان سليل أسرة تنتسب إلى الأدارسة العلويين ،واشتهرت بالنبوغ والعلم، إضافة إلى التفقّه في الدين ،والحافظة القوية ساعدته على الإحاطة بالعلوم المختلفة منها العلوم الشرعية.

أمّا نص الخطبة فيعدُّ نصا إبداعيا لا يقل مكانة عن النصوص الإبداعيّة الأخرىأ بما يحوي من لغة فنية ،وصياغة أدبيّة محكمة ،واستخدام الأساليب البلاغية المختلفة.

وما يمكن قولهُ أيضا بشأن الخطبة أنّها فنّ قديم من فنون الكلام والتعبير ،ويقصد بها التأثير في الشعوب أو الأفراد في شتى الأغراض .

إنّ الخطابة في النثر الجزائري الحديث ،وإن استندت على التراث العربي القديم ،وتأثرت بالأساليب العريقة فيه، فأنّها اختلفت من حيث المحتوى والموضوع من جهة ،والتحرر من الزخرف اللّفظي ،ومالت إلى الوضوح والبيان العربي الأصيل من جهة أخرى.

فالإبراهيمي واحد ممن برع في مختلف ميادين الخطب، فنجده أبدع في الخطبة الدينية وتميز فيها، نظرا لكونه متشبع بالدين الإسلامي، وكذلك السياسية الّتي كان يحاول من خلالها تحرير بلده من الاستعمار الفرنسي ،أما الأدبية فلا نجده ألقى الكثير منها ربما بسبب الظروف الّتي نشأ فيها في تلك الفترة.

وإذا تتبعنا خصائص خطبه وجدناها تتميز بخصائص من حيث الأسلوب والأداء فنقول عنه:إنه رئيس مدرسة أدبية بامتياز وهي مدرسة الصنعة اللفظية ،فأسلوبه تميز بالأناقة اللفظية ،والروعة الأدبية .أما اللغة فنجدها ثلاثة مستويات :مستوى اللغة الشعري ،ومستوى اللغة الخطابي ،و مستوى اللغة التقريري.

ولكل لغة خطبة خصائص فمن خصائص خطب الإبراهيمي: السهولة والوضوح ،اللغة التقريرية الوصفية.

فمهما يقال عن الإبراهيمي فلن نستطيع أن ننكر بأنّه كان أكبر كاتب أدبي في الجزائر وخاصة مع بداية سنة سبع وأربعين حين تألق نجمه في البصائر الثانية.

وأخيرا بعد تقديمي لليسير في هذا المجال آمل أن أكون قد تناولت جانبا من شخصية هذا الأديب .

والله من وراء القصد وهو المستعان.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

***القرآن الكريم**

أ/المصادر والمراجع:

1/إبراهيم حسن الدريعي _أحمد بن سليمان المشعلي _حمود بن عبد الله سلامة ،الأدب العربي ،وزارة التربية والتعليم ،الرياض ،ط3 ،س ط 2011/2010م.

2/أحمد سيد محمد ،المختار في الأدب والنصوص والنقد والتراجم الأدبية ،المعهد التربوي الوطني ،الجزائر ،د ط ،دس .

3/أحمد طالب الإبراهيمي ،آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ،دار الغرب الإسلامي ،الجزائر ،ط1،س ط 1997م،ج1 ،ج4 ،ج5.

4/أنيس المقدسي ،الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة الحديثة ،دار العلم للملايين ،بيروت ،لبنان ،ط6 ،س ط2000م.

5/توفيق جمعات ،قبسات من شخصية الإمام البشير الإبراهيمي ،مطبعة الوغي ،الأغواط ،ط1،س ط2010م.

6/جابر أحمد عصفور ،الصورة الفنية في التراث النقديّ والبلاغيّ ،دار الثقافة للطباعة والنشر ،القاهرة ،د ط ،س ط1984م.

7/ابن جني ،الخصائص ،ت:محمد علي النّجّار ،دار الهدى ،بيروت ،ط1 ،س ط1979م.

8/حنا الفاخوري ،الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم ،دار الجيل ،بيروت ،لبنان ،د ط ،دس.

9/الخليل بن أحمد الفراهيدي ،العين ،ت:مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ،د ط ،دس.

10/خير الدين الزركلي ،معجم الأعلام ،دار العلم للملايين ،بيروت ،لبنان ،ط16 ،س ط كانون الثاني2005م.

11/الزمخشري ،أساس البلاغة ،دار الفكر ،بيروت ،لبنان ،ط1 ،س ط1427هـ/2006م .

12/الشريف الجرجاني ،التعريفات ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،ط 2،س ط1424هـ /2003م.

13/الطاهر يحياوي ،العلامة البشير الإبراهيمي أمير البلاغة والبيان ،الجزائر ،د ط ،د س.

14/ ابن طباطبا ،عيار الشعر ،ت:عباس عبد السائر ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،ط2 ،س ط1426هـ /2005م.

15/عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز ،ت:محمد رشيد رضا ،دار المعرفة ،بيروت ،لبنان ،د ط ،س ط1981م.

16/عبد الله الركيبي ،تطور النثر الجزائري الحديث 1830.1974م ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،ط1 ،س ط 1983م.

17/عبد الملك بومنجل ،النثر الفني عند البشير الإبراهيمي ،بيت الحكمة ،الجزائر ،ط1 ،س ط جوان 2009م.

18/عبد الملك مرتاض ،فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931.1954م،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،د ط ،س ط1983م.

19/عبد الملك مرتاض ،نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925.1954م ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،ط2 ،س ط1983م.

20/عمر الدسوقي ،محمد صادق عفيفي ،محمد الفاسي ،الأدب والنصوص للسنة الرابعة ثانوي ،مكتبة الوحدة العربية ،د ط ،دس ،ج4.

21/علي جواد طاهر،مقدمة في النقد الأدبي ،المؤسسة العربية للطباعة والنشر ،بيروت ،ط1 ،س ط1979م.

22/علي محفوظ ،فن الخطابة وإعداد الخطيب ،دار الإعتصام ،القاهرة ،د ط ،د س.

23/مجدي وهبة وكامل المهندس،معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ،مكتبة لبنان ،بيروت ،ط2 ،س ط199.

24/محمد البشير الإبراهيمي،الآثار (عيون البصائر)،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،د ط ،س ط1987م.

25/محمد طمار ،تاريخ الأدب الجزائري ،سحب الطباعة للجيش ،الجزائر ،ط1 ،س ط2007م.

26/محمد عباس ،البشير الإبراهيمي أديبا ،رسالة ماجستير،كلية الآداب ،جامعة بغداد ،س15نوفمبر 1983م.

27/محمد علي سلطاني ،المختار من علوم البلاغة والعروض ،دار العصماء ،دمشق ،سوريا ،ط1 ،س ط1427ه/2008م.

28/محمد مرتضى الزبيدي ،تاج العروس ،ت:علي هلالي ،مطبعة حكومة الكويت ،ط2 ،س ط1408ه /1987م،ج2.

29/محمود محمد عمارة ،الخطابة بين النظرية والتطبيق ،مكتبة الإيمان منصورة ،أمام جامعة الأزهر ،ط1 ،س ط1418ه /1997م.

30/مصطفى الفار وداود الشوابكة ،باقات من النثر العربي القديم دراسة تطبيقية ،دار الفكر ،الأردن ،ط1 ،س ط1426ه /2005م.

31/ابن منظور ،لسان العرب ،المجلد الثالث ،دار الحديث ،القاهرة ،طبعة مراجعة ومحققة ،د ط ،س ط 1423ه /2003م.

ب/الرسائل الجامعية :

1/رسائل الدكتوراه:

_بشير فايد ،قضايا العرب والمسلمين من آثار الشيخ الإبراهيمي والأمير شكيب أرسلان _دراسة تاريخية وفكرية مقارنة _،جامعة منتوري قسنطينة ،س2010/2009م.

_عيسى بن ساعد مدور ،الخطابة في النثر الجزائري الحديث موضوعاتها وخصائصها ،جامعة الجزائر ،س2004م/2005م.

2/رسائل الماجيستير:

_أمينة بلهاشمي ،الرمز في الأدب الجزائري الحديث ،جامعة تلمسان ،س1432هـ /2010_2011م.

_أحلام بالولي ،بلاغة اللغة في أدب المقال الإصلاحي عند محمد البشير الإبراهيمي _عيون البصائر نموذجا_،جامعة العقيد أكلي أولحاج ،البويرة ،س2014/2013.

_عبد الله علي جابر المري ،الخطابة عند الفاروق دراسة أسلوبية ،كلية الآداب والعلوم ،جامعة الشرق الأوسط، س2012/2011م.

_محمد درق ،ملامح الاتجاه الإسلامي في أدب المقال عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،جامعة تلمسان ،س1431هـ /2010م.

_محمد مهداوي ،البشير الإبراهيمي واللّغة العربيّة ،جامعة دمشق ،س1987/1986م.

2/رسائل الليسانس:

_عمورة ضاوي ،شهرزاد ،الخصائص النثرية الإصلاحية للبشير الإبراهيمي ،معهد اللغة العربية ،الجزائر ،س2015/2014م.

ج/الدوريات:

1/المجلات:

_مجلة الثقافة ،وزارة الثقافة والسياحة ،الجزائر ،العدد87،السنة الخامسة عشرة ،س ط شعبان /رمضان 1405هـ/ماي1985م.

_مجلة الشهاب ،عبد الحميد بن باديس ،المجلد1 ،دار الغرب الإسلامي ،الجزائر ،ط1 ،س ط1421هـ/ 2001م.

_ مجلة الشهاب ،عبد الحميد بن باديس ،المجلد14 ،دار الغرب الإسلامي ،الجزائر ،ط1 ،س ط1421هـ/2001م.

_مجلة علوم اللغة العربية وآدابها ،كلية اللغات والآداب ،جامعة الوادي ،العدد الرابع ،س2012م

_مجلة الموافقات ،العدد الرابع ،السنة الرابعة ،س 1416هـ/1995م.

_مجلة الوعي ،دار الوعي ،العدد الثاني ،س1432هـ /2010م.

2/الجرائد:

_جريدة الصباح الجديد ،القاهرة ،12ماي 2015م.

3/المقالات:

_بلوافي محمد ،فنون النثر الأدبي في العصر الجاهلي والإسلامي ،س20 ماي 2009م.

_عبد الله بوخلخال ،العلاقة بين اللفظ والمعنى بين المفهوم المعجمي والاستعمال عند البشير الإبراهيمي من خلال عيون البصائر.

د/المواقع الإلكترونية:

www.albalaghah.com

www.aluka.com

www.tantaawi@gmail.com

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

المقدمة..... أ

التمهيد..... **4**

الفصل الأوّل :العوامل المكوّنة لشخصيّة الإبراهيمي..... **7**

أوّلا: نشأة الإبراهيمي وتكوينه..... **8**

ثانيا: رحلته إلى المشرق..... **12**

ثالثا: آثاره..... **25**

رابعا: منزلته العلميّة..... **28**

الفصل الثاني :الخطابة..... **30**

أوّلا: الخطبة الدينيّة..... **37**

ثانيا: الخطبة الأدبيّة..... **41**

ثالثا: الخطبة السيّاسيّة..... **44**

الفصل الثالث:خصائص خطبه الفنيّة **49**

أوّلا: الأسلوب والأداء..... **50**

ثانيا: اللّغة..... **54**

تحليل نموذج من خطبه..... **58**

الخاتمة..... **74**

قائمة المصادر والمراجع..... **77**

فهرس الموضوعات.....,,..... **84**

الملخص:

إنّ المفهوم البسيط للخطابة هو إلقاء الكلام المنثور مسجوعا أو مرسلا لاستمالة المخاطبين إلى رأي أو ترغيبهم في عمل .

والإبراهيمي واحد من الرّجال الّذين تميّزوا بهذا الفنّ وعرفوا مختَلف أنواعه الدينيّة والأدبيّة والسياسيّة لأنّ الوضع في تلك الفترة كان يستدعي هذا لأجل توعيّة الأفراد .

ومن الخصائص الفنيّة الّتي تميّزت بها :الأسلوب الرّاقي المتين واللّغة ،والأداء.

Summary :

This reseach aims at studying the concept of discource and or speech delivery. It is merely the fact of performing herance as prose in rhythm and tone so as to stimulate the listeners and so persuading them to get on opinion or to do any given act.

In such a type of arts ,El Ibrahimi is one of those who are well known as he deal with its literary ,and political types.This was the effect of that living situation wish gave birth to imposed this kind of personalities

This was characterized by many master pieces of art such as :the legal leveled style ,the language and the exceptional performance.

Résumé :

le discours dans sa première définition renvoie aux paroles annoncées ou prononcées pour influencer et orienter les interlocuteur vers une opinion ou pour accomplir une tâche.

El Ibrahimi est l'une des figures qui excellé dans cet art sous ses différents manifestations ,de plus de contexte à l'époque exigerait ce type d'art pour sensiblerie les gens

Parmi les caractéristiques de discours figurent :le niveau intense de la langue et une stylistiques vrés recherchée .